أسرة محمد علي والآثار المصرية (١٨٠٥-١٩١٤)

د/ حمادة حسني احمد محمد – استاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر
كلية السياحة والفنادق – جامعة قناة السويس

مقدمة

يعتبر محمد على " مؤسس مصر الحديثة " (١) نظرا لكمية التحولات والتغيرات التي شهدها المجتمع المصري خلال فتره حكمه (١٨٠٥-١٨٤٨) في النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية من حيث إلغاء نظام الالتزام وفرص نظام الاحتكار والتصنيع والسياسية التعليمية والنشاط الدولي .

فعصر محمد علي كان نموذجا للانتصارات والأخفاقات في ان واحد ،فالانجازات قد تحققت بموارد مصرية خالصة لكن مالبث هذة التجربة أن تراجعت بمجرد وفاتة . ونحن هنا لسنا بصدد تقيم عصره ولا يتسع المجال لسرد أعماله واعمال خلفائة

وقد صدرت عشرات المؤلفات والدراسات الأكاديمية التي تناولت عصر محمد على واسرتة واغلب هذة الدراسات أنصب علي الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولم تفرد دراسة خاصة عن علاقة محمد علي واسرتة بالاثار وهو ماسنتناولة في هذة الدراسة

آثار مصر فى عصر محمد على

كان محمد على فى مبدأ توليه حكم مصر ولسنوات طوال يستخدم الآثار للمساومة بها للحصول على المساندة الدبلوماسية والمساعدة التقنية من أوروبا وكان مستعدًا فى سبيل ذلك لإصدار الفرمانات للأفراد والقناصل الأوروبيين للسماح لهم بالبحث والكشف عن الآثار فى أى مكان يطلبونه. والحكايات كثيرة عن التجاوزات الكبيرة التى حدثت فى السنوات الأولى من حكم محمد على والتى نهبت فيها الآثار، والتى قام بالنصيب الأكبر منها قنصلاً بريطانيا وفرنسا هنرى سولت وبرناردينو دروفيتى واللذان كانا يستخدمان مقاولين من الباطن للكشف عن الآثار وتهريبها والإتجار فيها وبيعها للمتاحف الأوروبية. وكانت تجارة الآثار فى عشرينيات القرن التاسع عشر فى أوجها والتسارع للحصول عليها كبيرًا شارك فيه بالإضافة إلى سولت ودروفينى الكثير من المغامرين والذين كان من بينهم قناصل بعض الدول كالنمسا وبلجيكا وغيرهما.(٢)

كان محمد علي حائرا بين بريطانيا وفرنسا ، وهدفة اعلان استقلال مصر وشغل بلتخلص من خصومة في الداخل وفتوحاتة بالخارج عن حماية الاثار وحرص علي اجتذاب قنصل بريطانيا سولت وقنصل فرنسا دروفيتي وانتهز القنصلان الفرصة فأخذا يسرقان اثار مصر علي نطاق واسع وربما قد عرف محمد علي ما يفعلة الرجلان فترك لهما سرقة الماضي مقابل أن يتركا لة الحاضر والمستقبل وكانت النتيجة في الحالتين أن سولت ودروفيتي ،وفي ظل الحصانة الدبلوماسية وظروف مصر السياسية كانا اشهر لصين للأثار في تاريخ مصر الحديث

عين سولت قنصلا عاما لبريطانيا عام ١٨١٥ وصل الي القاهرة في السنة التالية قام بحفائر كثيرة ليحصل علي اثار للمتحف البريطاني وللاصدقاء الذين ساعدوة علي تعينة في منصبة نقب وجمع كميات ضخمة للمتحف وكميات أخري لحسابة قال في رسالتة الاولي للاصدقاء "سابعث اليكم بأثار لم ترها العيون " وعندما غرقت الشحنة الأولي بعث اليهم معزبا يقول :""الأثار المصرية كثيرة "

نقل التمثال النصفي لرمسيس الثاني من طيبة الي الاسكندرية ومنها الي لندن وقدمة للمتحف البريطاني ويوجد حاليا في المتحف بالدور الارضي ورقمة ١٩. وفي عام ١٨١٨أرسل مجموعة ضخمة للمتحف واشتري منة السير جون بعض التحف ووضعة في متحفة المعروف بأسمة في لندن ، واشتري مجموعة سولت الثانية –التي حصل عليها من مصر خلال الاعوام ١٨١٩ حتي ١٨٢٤ ملك فرنسا بمبلغ ١٠الاف جنية .وبيعت المجوعة الثالثة في مزاد استمر ٧ أيام في "قاعة سوثبي "للأعمال الفنية في لندن بمبلغ ٧١٦٨ جنيها وتضم ١٠٨٣ قطعة أشتراها المتحف البريطاني جمعها سولت خلال ٣ سنوات من ١٨٢٤ ولكنها بيعت عام ١٨٣٥ بعد وفاتة فقد مات في دسوق عام ١٨٢٧ ودفن بالاسكندرية وكان سولت يعمل وينقب ويشتري بنفسة ولكن كان لة ٣ رجال يقومون بالعمليات القذرة وهم جيوفاني بلزوني الايطالي وَبيركهارت السويسري وجيوفاني كافيجليا وهو بحار من جنوة بريطاني الجنسية ويقيم في مالطة .(٣)

اما قنصل فرنسا العام برناردينو دروفيتي الذي سرق أثار مصر فهو من اصل ايطالي تجنس بالجنسية الفرنسية وإشترك في حملة نابليون في مصر وعمل قنصلا عاما لفرنسا فترتين الأولى منذ ولاية نابليون حتى عام ١٨١٤ والثانية تسع سنوات من عام ١٨٢٠ ، فقد فصلته الحكومة ثم أعاد للعمل لأنه كان صديقا لوالى مصر .

جمع دروفيتى أكبر مجموعه من أوراق البردى عرضها على فرنسا فرفضت شراءها . ولم يتردد – وهو قنصل لفرنسا – فى عرضها على ملك سردينيا الذى دفع ثمنا لها ٤٠٠ ألف ليرة ايطالية وقدمها لمتحف تورينو .وتضم هذه الصفحة قوائم بأسماء ملوك مصر .

واشترى منه متحف برلين عام ١٨٣٦ مجموعه ثانية بمبلغ ٣٠ ألف ليرة أما المجموعة الثالثه فاشتراها شارل العاشر بربع مليون فرنك وقدمها لمتحف اللوفر فى باريس والمجموعات الثلاث التي باعها دروفيتي تمثل أفضل وأروع الأثار المصرية في اوربا بصفة عامة ومتحف اللوفر بصفة خاصة وكان درو فيتي صاحب نفوذ علي محمد علي الذي اعتمد علي فرنسا لمساندتة ضد الانجليز (٤)

وكان التنافس بين القنصل البريطاني سولت والفرنسي درو فيتي قد وصل الي ذروتة عام ١٨٢٠ حتي انهما وقعا اتفاقا مدهشا لتقاسم مناطق النفوذ تم بموجبة اطلاق يد القنصل الانجليزي في كل الاثار المصرية علي الضفة الغربية للنيل بينما اطلقت ايدي القنصل الفرنسي في اثار الضفة الشرقية

لم تقتصر السرقة علي قنصلي بريطانيا وفرنسا وحدهما فكل قنصل إستطاع أن يمد يدة لاثار مصر لم يتردد في ذلك واشترك في ذلك القناصل الفخريون أيضا وعدد من الدول الاخري كانت مهتمة بالاثار المصرية وقد أثار شهيتها كتاب وصف مصر "فقد تمكن الكونت همبولت من بروسيا (المانيا)من اقناع القيصر ويلهلم الرابع برعاية بعثة علمية بقيادة الشاب كارل ليبسيوس (١٨١٠-١٨٨٤) وهو من خبراء الكتابة الهيروغليفية ، واعتبر افضل علماء الأثار بعد شامبليون صحح بعض كلمات وقواعد اللغة التي 'إكتشفها شامبليون نفسة قبل ان يجيء الي مصر – ليرأس بعثة التنقيب – ظل ٤سنوات يطوف متاحف إنجلترا وهولندا وإيطاليا يدرس مجموعات الأثار المصرية بها ليتعرف علي صورها حتي يبدأمن نقطة جديدة زار مصر ثلاث مرات الاولي ٣ سنوات بدات عام ١٨٤٢ وجاء للمرة الثانية عام ١٨٦٦ والثالثة عام ١٨٦٩ليشهد افتتاح قناة السويس (٥)

وفي الفترة الاولي ١٨٤٢ و ١٨٤٥انطلقت الحملة من انجلترا حيث ضم كارل ليبسيوس الية جوزيف بونومي وكذلك المعماري الانجليزي جيمز ويلد ووصلوا الاسكندرية في ستمبر ١٨٤٢ وتمكنوا بعد ذلك من مقابلة محمد علي واعلن الباشا عن سرورة بالزهريات التي احضرها ليبسيوس كهدايا من الملك فريدرك بل وعبر انة معتز بتسلم خطاب شخصي منة وسأل ليبسيوس عن حال متحف القاهرة الذي نشأ بناء علي القانون الذي صدر عام ١٨٣٥ فأجاب الباشا بأنة ليس مزدهر ا بسبب كثرة الطلبات المجحفة التي تطلب منة في أوربا ثم وافق علي فرمان يعطي ليبسيوس حقا غير محدود في القيام باعمال التنقيب وتكوين أية مجموعات يريدها

وزار الفريق البروسي اغلب المواقع الرئيسية للأثار في مصر والنوبة . ولقد استكشفت هذة البعثة في الجيزة وهضة سقارة فقط ١٣٠ مقبرة مصطبية ووقعتها علي الخرائط ورسمت لها صورا ومخططات جديدة وفي كل مكان توجهوا الية كان الالمان يجمعون الصناعات اليدوية الفرعونية ويصنعون مجسات ورقية للنقوش والمشاهد التي سجلوها .

مع عوده البعثة الى بروسيا (المانيا)، اشرف ليبسيوس على صدور واحد من أهم المؤلفات العلمية عن مصر ، والذى بلغ قوامه ١٢ جزءاً ، ويحمل عنوانا "آثار مصر والحبشة – Denkmaler ause Agypten Athiopien . والذى ما زال يعد واحداً من مصادر البحث الرئيسية فى هذا المجال . كما شكلت القطع الأثرية التى عادت بها البعثه إلى ألمانيا ، والتى بلغ قوامها ١٥٠٠٠(مهربة) قطعة أساس متحف برلين .وباع ليبسيوس بعض التحف للمتحف البريطاني " وراية يتركز في ان الأثار مصرية الجنسية أما المشترون فلاجنسية لهم وكوفيء ليبسيوس علي عملة بالاشتراك في تصميم المتحف المصري في برلين وأختير مديرا لة

وعلي الرغم من ان الرواد الاوائل في فك رموز اللغة الهيروغليفية كانوا من الفرنسيين الا أن الالمان كانوا روادا في نشر الدوريات العلمية والمراجع الاساسية عن هذة اللغة فاول دورية علمية خصصت فقط لمصر القديمة وعنوانها "مجلة اللغة المصرية "تأسست في برلين عام ١٨٦٣ وقاموس اللغة المصرية الضخم الذي ما زال لا يباري وعنوانة "قاموس اللغة المصرية ظهر بين عامي ١٩٢٦و١٩٣١. وقد توج النشاط الأثري الألماني بإنشاء المعهد الالماني للأثار بالقاهرة في سنة ١٩٠٥

وفى سنوات هذا العقد كان محمد على كريمًا فى إهدائه الكثير من الآثار إلى الدول الأوروبية. وتقف المسلتان المصريتان(المسلة عمود رباعي الأضلاع يتناقص مقطعه تدريجيا، لينتهي في أعلاه بشكل هرمي) بميدان الكونكورد بباريس وعلى ضفاف نهر التيمس بإنجلترا مثالاً على هذا الكرم الذى كان هذا الحاكم مستعدًا لإبدائه نظير مساندة هذه البلاد لسياساته، فقد وفد إلي مصر -أبريل ١٨٣٠م- رسول من قبل شارل العاشر ، خف والي مصر محمد علي باشا لاستقباله في حالة من الامتنان والسرور ، وفي الحال قرر أن يهدي فرنسا مسلتي الأقصر وثالثة من مسلتين بالأسكندرية ..اكتفي الفرنسيون بمسلة واحدة (٦)، وظل أمر نقلها من مصر الشغل الشاغل لهم ، ظل السؤال الحائر هو : كيف يتم نقل مسلة بكل هذه الضخامة (تزن ٢٣٠ طناً ويبلغ طولها ٢٢متراً) من الأقصر حتي باريس ؟كان شامبليون هو الذي أشار عليها لأهميتها :

ـ تلك التي علي اليمين عند دخول القصر ..

لقد فضلها شامبليون لأن الأخري كانت في حالة من السوء كبيرة ، كانت المسلتان تغمرهما تلال من الرمال والأنقاض ، ولم يشد انتباه شامبليون ذلك الشق الموجود في المسلة التي اختارها ، ومن حسن الحظ أن الشق لم يكن يمثل أية خطورة تذكر ..لم تزل الحيرة تشغل البال ، استبعد الجميع فكرة تقطيعها إلي عدة إجزاء ليسهل نقلها ، قال شامبليون :

- هذا تدنيس للمقدسات .. تذكر الحشد بأن الرومان سبق وأن قاموا في القرن الرابع بتنفيذ عملية نقل مماثلة عبر البحر المتوسط حيث قاموا بنقل بنقل مسلة عبروا بها البحر أخذوها من معبد الكرنك وأقاموها في ميدان القديس بطرس .اقترح شامبليون تشييد عوامة خاصة ، سرعان ما وافقت اللجنة التي شكلها ملك فرنسا علي القرار بالتشييد وكانت العوامة عبارة عن سفينة ذات قاع مستوٍ تستطيع السفر في البحر المتوسط والصعود في نهر النيل وَالنزول في نهر السين ويمكنها تفادي النقل من ظهر سفينة لأخري ..بالفعل بدأ التنفيذ في ميناء " طولون " الفرنسي وأطلق عليها اسم " الأقصر "، وفي يوم ١٥ أبريل عام ١٨٣١ م غادرت السفينة " الأقصر " ميناء "طولون" وعلي متنها ١٥٠ شخصاً شكلوا فريقاً مختلفاً من كافة المهن والحرف " النجارة - الحدادة - النحت - الميكانيكا "وغيرهم من الضباط والجنود .

كان قائد السفينة هو المهندس " أبوللينير لوبا " Apollinaire Lebes قصير القامة ، ولكن شكله لم يكن يوحي بالثقة كما وصفه من رآه ..ظلت السفينة " الأقصر" تمخر عباب البحر المتوسط حتي وصلت إلي الأقصر " المدينة " بعد صعودها النيل ، وظل فريق العمل يعيشون في بين ربوع طيبة وأطلالها مدة عام كامل ، حولوا جزءاً من المعبد إلي حي للبحارة ، بنوا مساكن للجنود ، وسكن الضباط شققاً علوية زودت بأثاثات بحرية ، إلي جانب ذلك أنشأوا مطبخاً وفرناً ومطحناً ومخبزاً ، وبنوا مخزناً للسلاح وآخر للبارود المتفجرات ، ولم ينسوا أن ينشئوا مستشفي ضم ٣٠ سريراً ، لقد أنشأوا مجتمعاً فرنسياً في أحضان معبد فرعوني ..وفجأة توقف العمل ، لقد تفشي وباء الكوليرا ، لذا لم يتم تحريك المسلة الفرعونية من مكانها قيد أنملة إلا في يوم ٣١ أغسطس من نفس العام ..في اليوم التالي كتب قبطان السفينة " فرنيناك سان - مور " Verninac Saint_Mour إلي شامبليون :

".. ابتهج سيدي المواطن العظيم ، غادرتنا الكوليرا وخضعت المسلة الغربية بالأقصر أمام أبسط الوسائل الميكانيكية الحديثة ..بالفعل بدأ نقل المسلة علي قضبان من الخشب وبمعاونة ٤٠٠ عامل تم استئجارهم ولم تصل إلي ظهر السفينة إلا في نهاية ديسمبر من ذلك العام بسبب ارتفاع مستوي مياه النهر ، وكان لابد من قطع مقدمة السفينة لتسهيل عملية النقل وتتمكن من استقبال المسلة - حيث يصل طولها إلي ٢٢ متراً كما أسلفنا - ولو بشكل مؤقت وبسبب الفيضان اضطرت السفينة للبقاء حتي ٢٢ أغسطس عام ١٨٣٢ م مما منح فريق العمل فرصة ذهبية لقضاء الوقت في الصيد أو التنزه وزيارة المناطق الأثرية .. في ذلك اليوم بدأت السفينة الأقصر رحلتها بالإنحدار في النيل علي عدة مراحل حتي وصلت إلي رشيد ولكنها اضطرت من جديد إلي مد إقامتها بسبب صعوبات استجدت وهي تواجه العبور من نهر النيل إلي البحر المتوسط .علي الفور تم استدعاء سفينة تجارية فرنسية تحمل اسم " أبو الهول " قامت علي جر وسحب السفينة الأقصر وسط بحر متلاطم الأمواج وعلي نحو خطير ..وظلت الأقصر في خط سيرها حتي بلغت ميناء "طولون" الفرنسي يوم العاشر من مايو ١٨٣٣م بعد أن تم تحويل مسارها بعد جزيرة رودس وفوجئ طاقم السفينة باحتجازهم في الحجر الصحي وسط سيل من الاحتجاجات وفي يوم ٢٠ من يونيه استأنفت رحلتها من جديد حتي مدينة "

روان" الفرنسية عن طريق مضيق جبل طارق لتصل بعدها إلي مصب نهر السين في رحلة للصعود كي تصل إلي باربس .يوم الثالث والعشرين من ديسمبر وصلت السفينة الأقصر إلي باريس بعد رحلة استمرؤت علي مدي اثنين وثلاثين شهراً .. عملية نقل المسلة الفرعونية أثارت حفيظة رجل بقامة رفاعة رافع الطهطاوي العائد تواً من باريس والذي أعلن احتجاجه للباشا الجالس علي الأريكة المصرية مضطجعاً ولا يهمه من الأمر شيئاً ، أعلن رفاعة عن رفضه التفريط في أي شئ من الآثار المصرية ورأي في ذلك سفهاً وتبديداً ولكن محمد علي لم يأبه لذلك ولم يستمع للرأي فقد وصل بالوالي الأمر حد استعداده تفكيك أحد أهرامات الجيزة لبناء السدود ، فهي لا تشكل في نظره أي قيمة تاريخية ، فهي ليست أكثر من مواد أولية يستخدمها كما يشاء .

وفي يوم ٢٢ من أكتوبر عام ١٨٣٦م تجمع حشد هائل من الفرنسيين في ميدان الكونكورد بباريس ليشاهدوا احتفال نصب المسلة الفرعونية الشهيرة ..عند ناصية شارع "سان ـ فلور أنتن " المجاور للميدان كان أوركسترا مكون من مئة عازف يقومون بعزف مقطوعة " أسرار إيزيس الخفية " لموتسارت ، وكانت السماء ملبدة بالسحب والغيوم إلا أنها لم تمطر ، فقد تغطت واجهة وزارة البحرية الفرنسية بالضباط والموظفين ، وكان الوقت ظهراً ..هنا ظهر الملك " لوي فيليب الأول " وأسرته في الشرفة ، أعطي المهندس " لوبا " إشارة البدء ، بدأ جنود المدفعية الفرنسية مسيرتهم الموزونة علي أنغام الأبواق ، في الوقت الذي شرعت الروافع الرحوية في الدوران حول محورها ، انتصبت الحوامل لتجذب المسلة ..فجأة ترامي للآذان صوت " طقطقة" مما أثار القلق في النفوس ، وتوقف العمل للتشاور الذي قام به " لوبا" مع مساعديه ، لم يطرأ أي جديد علي الموقف ، واستمر العمل ..تم اجتياز مسافة ثلث الطريق في مدة ثلث الساعة ، المسلة ترتفع بطريقة غير محسوسة ، شيئاً فشيئاً بدأت المسلة في اتخاذ مكانها فوق القاعدة وسط هتاف مائتي ألف مواطن فرنسي ، ارتقي أربعة من الرجال المسلة ليضعوا الأعلام الفرنسية وأغصان الغار ، بينما وقف الملك
لوي ـ فيليب الأول لتحية العلم ثلاثي الألوان ..
ونقش علي قاعدة المسلة :
" في حضرة لوي فيليب الأول ملك فرنسا تم نقل هذه المسلة من الأقصر إلي فرنسا ونصبت فوق هذه القاعدة بواسطة المهندس " لوبا " وسط تصفيق جمهور غفير " ٢٥ أكتوبر ١٨٣٦م(٧)

بدا محمد علي وكأنه على غير اهتمام بالحفاظ على آثار مصر فى هذه الفترة المبكرة من حكمه، فقد غض الطرف عن أعمال الهدم التى تمت للكثير من المعابد القديمة لاستخدام أحجارها فى بناء المصانع أو تكسية قنوات الرى التى كانت تشق فى أرض الدلتا.

وكاد معبد دندرة أن يهدم وأن تستخدم حجارته فى بناء مصنع للنسيج بجواره. وفى سنة ١٨٣٠ أرسل شامبليون التماسًا إلى محمد على يطالبه فيه بالحفاظ على الآثار وعلى معابد مصر القديمة والتى قال فى رسالته إن ثلاثة عشر منها قد تهدم منذ خروج الحملة الفرنسية من مصر، ولا يستطيع المرء أن يحكم على جدية هذا الالتماس أو عن مغزاه، فالأغلب أنه كان موجهًا لمحمد على للتوقف عن هدم المعابد واستخدام أحجارها فى بناء المصانع التى كان يقيمها ولم يكن موجهًا للأجانب الذين كانوا يقومون بتهريب الآثار والتى كان الأوروبيون يظنون أن مكانها ينبغى أن يكون فى بلادهم، وقام شامبليون بنفسه وبعد سنوات قليلة من تقديم الالتماس بقطع لوحة بديعة من معبد سيتى نقلها إلى متحف اللوفر بباريس.

وتأتي الطامة الكبري بفرمان من الباشا بتفكيك بوابات معبد الكرنك لاستخدام أحجارها في منشآت معمل البارود، ولم يثن الكبير عن عزمه إلا باستعطاف ماهو بك التركي الذي قدم إلي الأقصر للإشراف علي بناء المعمل فجذبه الأثر الخالد حتي أقنع الباشا بالحفاظ عليه، بينما أهدي صديقه المستشرق الفرنسي بريس دافين إدريس باشا غرفة الملوك التي أقامها تحتمس الثالث بمعبد آمون بالكرنك والتي نقلها بدوره إلي متحف اللوفر بباريس، ومعها أقدم كتاب في العالم ـ٢٠٠٠ سنة ق.م ـ وهو عبارة عن بردية مصرية تعرف باسم بردية بريز قام بتحريرها بتاحوتيب أحد نبلاء الفراعنة في عام٢٤٢٠ ق.م،

وفى ثلاثينيات القرن التاسع عشر بدأت علاقة محمد على بأوروبا تتوتر ومساندتها له تقل مما دعاه إلى إعادة النظر فى سياسته نحو الآثار والتى يبدو أنه تبين أهميتها فى بناء الهوية القومية التى أساء استثمارها لمواجهة ما يمكن أن تدبره له أوروبا من أخطار، وفى سنة ١٨٣٥ رأى أن يقبل نصيحة رفاعة الطهطاوى بحفظ آثار مصر بداخلها وأن يصدر مرسومًا يقضى «بمنع تصدير الآثار وجمعها فى متحف بالعاصمة من أجل أن يراها زوار البلاد» كما يقضى «بمنع هدم الآثار وبذل كل الجهد للحفاظ عليها».

فصدر أول أمر عال (١٥ اغسطس ١٨٣٥) ينظم حماية الأثار وكان من المفروض ان يضع حد لمثل هذة الاعمال اذا قالت الديباجة ان المتاحف والجامعين والقوى الأجنبية جائعون لاختطاف الآثار المصرية ، حتى إن هناك خطرا فى ان جميع آثارها القديمة سوف توى لإثراء غيرها من البلاد ،ومع ذلك فمن المفهوم ان الاوربيين لا يمنعون نقل الاشياء المشابهة من بلادهم فحسب ،وإنها هم يسارعون بإرسال الدارسين للاستحواذ على الآثار أينما وجدت ، هؤلاء الرجال غالبا ما يحصلون عليها فى مقابل مبالغ زهيده تشبع جشع مالكى هذه الآثار الجهلة . ولما كانت هذه الكنوز تسهم فى مجد البلاد التى تملكها ، ولما كانت مصر تمتلك ثروات وفيرة ،وترى الحكومة أنه من الضرورى اتباع ما يلى :

١- خطر تصدير الآثار من جميع انواع في المستقبل خطر تاما
٢- جميع ما تمتلكه الحكومة من آثار او تلك التى سوف تمتلكها عن طريق أعمال الحفر أو البحث ، فى المستقبل ، توضع فى القاهرة فى مكان خاص .
٣- لا يكتفى بالمنع التام فى المستقبل لتدمير الآثار القديمة الموجودة فى الصعيد ، وإنما يجب على الحكومة أتخاذ الإجراءات لضمان الحفاظ عليها أينما وجدت .

ولقد نص المرسوم على وقف جميع أعمال الحفر ، وعلى حكام الأقاليم تنفيذ وقف العمل عن طريق مفتشين مسلحين . يجب مراقبة جميع الموانى لمنع تصدير الآثار فى المستقبل؛ ويجب تعيين مفتش للإشراف على تنفيذ المرسوم فى جميع أنحاء مصر ؛ ويجب إرسال إخطار رسمى لجميع ممثلى القوى الأوربية فى مصر لضمان تعاون بلادهم ... وتعيين مفتش لإعمال مواده عن طريق السفر إلى جميع المواقع المهمة . كان المرسوم عملا تشريعيا حسن النية ، وكان من الممكن أن يضع حدا للصراع الدولى على نهب آثار وادى النيل .(٨)

أرجع محمد على عملية هدم الآثار إلى الأجانب والذين «لو تركوا لشأنهم لما تبقى شيء منها بمصر». وأن المرسوم أن تذهب كل الآثار التى تجمع إلى رفاعة الطهطاوى ناظر مدرسة الألسن

بالأزبكية، والذى كلف هو «جوزيف هككيان» الأرمني والذى لعب دورًا هامًا فى تاريخ جمع الآثار المصرية ويوسف ضيا أفندى ببناء المتحف والتفتيش على الآثار. وقد بدأ يوسف ضيا عمله بالفعل بالصعيد وأخذ يرسل الآثار التى يكشف عنها إلى القاهرة تمهيدًا لوضعها فى متحف مركزى.فقد أنشأ محمد على أول دار للآثار الفرعونية والمصرية القديمة بجهة الازبكية بمنزل الدفتردار محمد علي

وقفت كافة الدول الأوروبية ضد تنفيذ هذا المرسوم ووصفته فرنسا بأنه غير جاد وأنه وضع للانتقام منها ومنع قنصلها ميمو Mimaut من جمع الآثار وحفظها من تبديد محمد على الذى اتهمته بأنه المسئول الأول عن هدم المعابد المصرية التى حدث بالفعل هدم البعض منها بعد صدور المرسوم مباشرة واستخدام حجارتها فى بناء المصانع. ومما زاد من صدق الفرنسيين ما أعلنه محمد على بنفسه بعد عام واحد من صدور المرسوم عن نيته لاستخدام حجارة أهرام الجيزة فى بناء القناطر الخيرية، وهو الأمر الذى لا يعرف على وجه اليقين إن كان جادًا فيه أم لا ولكنه أخذ على محمد على مما دفع القنصل الفرنسى ميمو إلى توجيه خطاب إليه يطالبه بالحفاظ على الأهرام فهى «بالنسبة للأوروبيين إحدى عجائب الدنيا السبع والأثر الموقر الذى يعتبر ملكًا لكافة الشعوب وعلى الأخص الشعب الفرنسى الذى وقف على قمته نابليون مخاطبًا جنوده ومذكرًا إياهم بأن أربعين قرنًا تنظر إليهم، إن الأهرام وديعة تركها العالم القديم فى أرض مصر للإنسانية جمعاء ينبغى أن تحفظ لها». (٩)

فقد كشفت وثائق تاريخ الري المصري القديم في متحف الثورة الذي أقامته ثورة يوليو في منطقة القناطر الخيرية عام١٩٥٧ أن محمد علي أصدر أمرا إلي المهندس الفرنسي لينان بهدم الهرم الأكبر، واستخدام أحجاره الضخمة لبناء قناطر جديدة عند رأس دلتا النيل في منطقة شلقان، التي أصبحت فيما بعد القناطر الخيرية.وتشير الوثائق إلي أن المهندس الفرنسي حاول إثناء محمد علي عن قراره علي أساس أن كميات أحجار الهرم الأكبر ستزيد أربعة أمثال المطلوب لبناء القناطر الجديدة، وأن أحجار الهرم الأصغر منقرع لا تكفي للتشييد، وطلب المهندس لينان المساعدة من قنصل فرنسا العام في مصر، الذي انحاز بشدة لجهود حماية الهرم. لكن ما دفع محمد علي إلي التخلي عن إصراره لم يكن إلا فكرة وجود بديل آخر، يمكن أن يوفر ٢٠ مليما. فقد ذكر لينان للوالي أن تكلفة نقل المتر الواحد من أحجار الهرم عشرة قروش، أي مائة مليم، وأن تكلفة نقلها من محاجر قريبة من منطقة شلقان تبلغ ثمانية قروش، أي ثمانين مليما، وهنا فقط تراجع والي مصر عن قرار هدم الهرم الأكبر. و الحوار الذي دار بين الوالي محمد علي، والمهندس الفرنسي مسجل في وثائق تاريخ الري المصري. " (١٠)

ولم يقدر لمرسوم سنة ١٨٣٥ أن يطبق، فقد واصل الأوروبيون بعد إصداره جمع الآثار وتهريبها إلى بلادهم كما استمر هدم الآثار لاستخدام حجارتها فى بناء المصانع والمنافع العامة،وقد بلغ عدد المعابد التي تم تفكيكها ما بين عامي١٨٢٠ و١٨٢٨ أكثر من١٢ معبدا، ولسوء حظ العسكر والحرامية أن تابوت منقرع صاحب الهرم الثالث الذي يعتبر أجمل قطعة جرانيت تاريخية لتفرد نقوشها ونعومتها قد غرق في خليج بيسكا علي الشواطئ الإسبانية في مرحلة نقله إلي المتحف البريطاني، ومازال البحث عنه جاريا تحت الماء!

ومع ذلك فيمكن القول إن مجرد صدوره كان بمثابة الاعتراف من قبل الحكومة المصرية بالحاجة إلى القيام بعمل شيء لوضع حد للتدمير الذى نال الآثار كما كان نجاحًا لمثقفى مصر بقيادة رفاعة الطهطاوى للمطالبة بأن يلعبوا دورًا فى دراسة وحفظ آثار بلادهم.

آثار مصر فى عصر خلفاء محمد على (١١)

كانت مصر بقيادة محمد على وحتى منتصف القرن التاسع عشر ترفض الدخول فى شبكة المواصلات العالمية التى بدأت تمد فى ذلك الوقت باختراع القطار والمراكب البخارية والتلغراف. وغير ذلك من وسائل النقل والمواصلات الحديثة، لذا فقد ظلت بعيدة عن رجل أوروبا العادى وصناعة السياحة التى بدأت تظهر فى ذلك الوقت . ولم يبدأ السواح والأجانب فى التدفق على مصر بأعداد كبيرة إلا بعد وفاة محمد على وإنشاء هذه الشبكة التى بدأ فيها عندما تولى عباس حلمى الأول حكم مصر فى سنة ١٨٤٨ وقبوله العرض البريطانى الذى كان محمد على قد رفضه لمد خط حديدى بين القاهرة والإسكندرية ومجيء سعيد باشا من بعده إلى كرسى الحكم فى سنة ١٨٥٤ وإعادته للنفوذ الفرنسى الذى كان قد راج إبان حكم سلفه وقبوله عرض الفرنسيين بشق قناة السويس لإيصال البحرين الأبيض والأحمر.. وهو العرض الذى كان قد رفضه محمد على أيضًا.. وبدخول مصر شبكة المواصلات العالمية والتوسع فى مد الخطوط الحديدية زادت معرفة العالم بها وبآثارها وبدأت تتدفق عليها أفواج السائحين والتجار والمغامرين بأعداد كبيرة.

ولم يأت هذا التدفق الكبير إلى مصر مباشرة فقد كان عهد عباس منغلقًا، طورد فيه الفرنسيون وأنصارهم وأوقف العمل فى الآثار وأغلقت المدارس على مختلف أنواعها بما فيها مدرسة الألسن والمتحف الصغير الذى ألحق بها ونفى ناظرها رفاعة الطهطاوى إلى الخرطوم.

أما عن الآثار فقد تضاءلت مجموعة العاديات التي جمعت في دار الاثار فأمر عباس بنقلها الي القلعة وحدث سنة ١٨٥٥ان جاء الي مصر الارشيدوق ماكسمليان النمسوي زائرا فأعجبته تللك الاثار فطلب من عباس باشا ان يهبة شيئا منها وكان عباس لايقدر قيمتها الفنية أو التاريخية ولا يشعر بواجب المحافظة عليها فقام بإهداء كل المتحف إلى صديقه أرشيدوق النمسا ماكسميليان فى سنة ١٨٥٥.. وتوجد هذه المجموعة من الآثار الآن فى متحف الفن بفيينا Kunsthistorischen Museum. (١٢)

يحدث الانفتاح الكبير على العالم وعلى أوروبا إلا بعد أن تولى الحكم سعيد باشا الذى أعاد الفرنسيين إلى مصر وعمل على إرضاء حكام أوروبا وبدأ طريق الاستدانة من بيوت المال الأوروبية.واهدي مجموعة من الاثار الي السلطان عبدالعزيز الذى لم يكن يعرف عنه اهتمامه بالآثار، وأعاد سعيد باشا رفاعة الطهطاوى من منفاه بالخرطوم إلى منصبه القديم كما أعاد فتح الباب أمام الأوروبيين الراغبين فى البحث عن الآثار.

وفى سنة ١٨٥٠ وصل إلى مصر عالم الآثار مارييت، ليبدأ رحلة استمرت بمصر حتى مماته سنة ١٨٨١، وكان لها أكبر الأثر فى تاريخ علم الآثار بمصر، عاصر خلالها العديد من الأحداث والشخصيات التى لعبت أهم الأدوار فيه.(١٣). وكان مارييت قد وصل إلى مصر فى مهمة لجمع مخطوطات الأديرة القبطية لصالح المتحف الوطنى بفرنسا فلما فشل فى هذه المهمة بسبب الموقف الحازم الذى اتخذه بطريرك الأقباط بمنع دخول الأجانب الأديرة بعد السرقة الكبيرة لمخطوطاتها والتى حدثت لصالح المتحف البريطانى قبل وصول مارييت بسنوات. انتقل للبحث فى منطقة سقارة

حيث تبين له أن يكتشف معبد السرابيوم من تحت الرمال التي كانت قد ردمته. ونال ماريت بسبب هذا الاكتشاف شهرة كبيرة أعطى بعدها امتياز للحفر والحق في استخدام المئات من عمال السخرة بفرمان من سعيد باشا.

وفي ١ يونية ١٨٥٨ عين ماريت مديرا للاثار في مصر وكان ذلك بسعي (المسيو فرديناند دليسبس(صديق)(سعيدباشا) الحميم ، وقد بذل ماريت جهوداً في التنقيب عن العاديات والآثار ونقلت إلي مخازن أعدت لها ببولاق(انظر الملحق رقم ١)

ومنح ماريت مخصصا شخصيا قيمتة ١٨٠٠ فرنك وكذلك سلطة تعيين زملاء وإمكانية استخدام الباخرة وتم تصنيف الاعمال التي يقوم بها علي انها اشغال عامة ويمكن قانونا جمع العمال لة عن طريق التجنيد وكلف بإنشاء المتحف والذى عادة ما يعاد فضل إنشاؤه إليه ودون أى ذكر للمحاولة التى قام بها محمد على ورفاعة الطهطاوى قبل ذلك بسنوات عديدة والتى سبقت فيها مصر الكثير من الدول الأوروبية ذاتها.. وبزغ نجم ماريت خلال عمله بمصر والذى استمر حتى وفاته.. فبالإضافة إلى ما قام به من أعمال فى المتحف المصرى، فقد كان مسئولاً عن اشتراك مصر فى المعارض الدولية ....وفى تنظيم احتفالات افتتاح قناة السويس وكتابة نص كلمات أوبرا عايدة.(١٤). وكان ماريت موزع الولاء فهو من جهة موظف الحكومة المصرية التى أراد أن يخدمها ومن جهة أخرى مواطن فرنسى وطنى مخلص لبلده الذى كانت سياساته هى الحد من استقلال مصر تمهيدًا لضمها إلى أملاكها.. وقد تزامن إنشاء المتحف فى مصر مع نشأة الكثير من المتاحف فى أوروبا والتى كانت تقام بها كرمز للقوة والعزة القومية والرأسمالية التى كانت توجه سياسة أوروبا فى ذلك الوقت..

انشاء متحف بولاق ١٨٦٣

بدأت قصة تأسيس المتحف مع الاهتمام العالمي الكبير بالآثار المصرية بعد فك رموز حجر رشيد علي يد العالم الفرنسي شامبليون. وكانت النواة الأولي للمتحف ببيت صغير عند بركة الأزبكية القديمة حيث أمر محمد علي بتسجيل الآثار المصرية الثابتة ونقل الآثار القيمة لمتحف الأزبكية وذلك عام ١٨٤٨م. بعد وفاة محمد علي عادت سرقة الآثار مرة أخرى وسار خلفاءه علي نهج الإهداءات فتضاءلت مقتنيات المتحف.

وفي عام ١٨٥٨م تم تعيين (ماريت) كأول مأمور (لإشغال العاديات) أي (ما يقابل حالياً رئيس مصلحة الآثار). وقد وجد أنه لابد من وجود إدارة ومتحف للآثار ولذلك قام باختيار منطقة بولاق لإنشاء متحف للآثار المصرية ونقل إليها الآثار التي عثر عليها أثناء حفائره (مثل آثار مقبرة إعح حتب).

وظل ماريت يعمل على هذا النحو حتى جعله سعيد باشا سنة ١٨٥٨ مأموراً لأعمال العاديات بمصر ، ولما مات سعيد اهتم الخديو اسماعيل بموضوع حماية الأثار المصريه وكان معجب بماريت و أفكاره فعينه مدير للأثار المصريه وعمله مسئول عن كل عمليات الحفر والتنقيب عن الأثار في مصر، فأستقر في مصر ولم يعود فرنسا .وقام الخديوي إسماعيل بإقرار مشروع إنشاء متحف للآثار المصرية اكتفي بإعطاء ماريت (عر بخانة) أمام دار الأنتيكخانة في بولاق ليوسع متحفه.

ا فتتح هذا المتحف للجمهور في ١٨ أكتوبر سنة ١٨٦٣ في حي بولاق القديم بالقاهرة ويقول ماريت عن موقع المتحف "كان الموقع في حالة يرثي لها :ساحل رملي وعر تجور علية مياة النيل في أغلب

ألاوقات وفي الجنوب يوجد منزل وضيع ورطب حيث يقيم مدير المتحف وأسرتة وفي الشمال جامع قديم تستخدم قاعاتة كمخزن لمتاع المسافرينوللبضائع ،وفي الشرق وعلي حافة شارع بولاق الكبير توجد عنابر طويلة ومنخفضة قاموا بإعدادها كمكاتب للموظفين وقاعات لعرضالاثار وكانت الخمس او الاربع غرف مفتوحة للزوار سيئة الاضاءة وفي بعض الاحيان يجدون عقارب أو ثعبانا نائما وفي النهاية اضطرت الادارة الي استدعاء احد الحواة الذي نجح في اجتذاب الثعابيين والقضاء علية (١٥)

ومن ابز الضيوف الذين زارو المتحف السطان العثماني عبد العزيز الذي وصل الي مصر في ٧ ابريل ١٨٦٣ واستقبلة اسماعيل بحفاوة بالغة وكان من ضمن برنامج الزيارة زيارة المتحف فوصل الية في ١٣ابريل ١٨٦٣ وقد وافق وقوع عيد شم النسيم احتفلت القاهرة بة احتفالها المعهود ولكن زادة بهجة وجود السلطان ..وقد تفقد السلطان المتجف وغرفة ومحتوياتة واستفسر عن كل ما راة فية وارتاح الي البيانات الت استطاع ماربيت أن يبديها لة .(١٦)

وفي عام ١٨٧٨م حدث ارتفاع شديد في فيضان النيل مما تسبب في إغراق متحف بولاق وضياع بعض محتوياته. و في عام ١٨٨١م أعيد افتتاح المتحف وفي نفس العام توفي ماربيت ودفن جثمان ماربيت باشا في تابوت بمدخل المتحف وخلفه (ماسبيرو) كمدير للآثار وللمتحف. وفي عام ١٨٩١م وعندما تزايدت مجموعات متحف بولاق تم نقلها إلي سراي الجيزة. وعندما جاء العالم (دي مورجان) كرئيس للمصلحة والمتحف قام بإعادة تنسيق هذه المجموعات في المتحف الجديد الذي عرف باسم متحف الجيزة. (١٧)

وفي الفترة من ١٨٩٧ – ١٨٩٩م جاء لوريه Loret كخليفة لدي مورجان. ولكن عاد ماسبيرو مرة أخرى ليدير المصلحة والمتحف من عام ١٨٩٩ – ١٩١٤م وفي عام ١٩٠٢م قام بنقل الآثار إلي المبني الحالي للمتحف (في ميدان التحرير) وكان من أكثر مساعديه نشاطاً في فترة عمله الثانية العالم المصري أحمد باشا كمال والذي كان أول من تخصص في الآثار المصرية القديمة وعمل لسنوات طويلة بالمتحف. أما أول مدير مصري للمتحف فكان هو (محمود حمزة) وتم تعيينه عام ١٩٥٠م. هذا وقد كان للمتحف دليل موجز من وضع ماسبيرو يرجع إلي عام ١٨٨٣م إلا انه قام بعمل دليل كبير للمتحف الجديد ظل يطبع ويكرر من عام ١٩١٥م وحتى الآن (ولكن مع مجموعة من التعديلات).

أهم مقتنيات المتحف:

ويتكون المتحف المصري من طابق أرضي وطبقتين علويتين، أما الطابق الأرضية فقد خصصت للمعروضات الثقيلة والآثار الكبيرة الحجم وهي مرتبة حسب الترتيب التاريخي للأسر الفرعونية التى حكمت مصر ، وهناك ساحة واسعة تشتمل على بعض التماثيل الضخمة .أما الطابق الثاني فيعرض بها آلاف من المعروضات الرائعة من تماثيل ولوحات كما أن بها كمية كبيرة من اللوحات الجدارية زاهية الألوان والتي تم قطعها من عدد كبير من معابد مصر القديمة ، وبالمتحف إلى آلاف البرديات والمخطوطات الملكية وشكاوى الطبقات الدنيا في المجتمع الفرعوني القديم . كما أن المتحف يحتوى على التوابيت والمومياوات الفرعونية لملوك ووزراء وكهنة ومومياوات لأطفال من هذه الأسر العريقة!.

والطبقة العليا من المتحف المصرى الفرعونى ففي قسمها الشمالي الشرقي أهم كنوز المتحف آثار الملك توت عنخ أمون بداية من قاعة الجواهر التي تضم أروع مجموعة من الجواهر والأحجار الكريمة لنادرة الموجودة، وبها ايضاً لمومياء الفرعون الشاب. وبالمتحف مكتبة كبيرة

للسائحين والباحثين المهتمين بالحضارة المصرية القديمة بها مائتي ألف كتاب أغلبها مؤلفات باللغات الأجنبية وبها أيضا مجموعة من الوثائق البردية باللغة اليونانية.

ونذكر علي سبيل المثال من مقتنيات المتحف:

١. مجموعة من الأواني الفخارية (من عصور ما قبل التاريخ).
٢. صلاية نعرمر (عصر التوحيد).
٣. تمثال خع سخم (الأسرة ٢).
٤. تمثال زوسر (الأسرة ٣).
٥. تماثيل خوفو/خفرع/منكاورع (الأسرة ٤).
٦. تمثال كاعبر/تماثيل الخدم (الأسرة ٥).
٧. تمثال القزم سنب (الأسرة ٦).
٨. تمثال منتوحتب نب حبت رع (الأسرة ١١).
٩. تماثيل أمنمحات الأول/ الثاني/ الثالث (الأسرة ١٢).
١٠. تمثال الكا للملك حور (الأسرة ١٣).
١١. تماثيل حتشبسوت/ تحتمس الثالث (الأسرة ١٨).
١٢. مجموعة توت عنخ آمون (الأسرة ١٨).
١٣. مجموعة كنوز تانيس.... إلخ.
١٤. مجموعة كبيرة من المميات من مختلاف العصور.

أقسام المتحف

قسمت الآثار حسب أهميتها أو كمية توفرها كالقسم السادس والسابع، اما الترتيبات الثاني والثالث والرابع فكانت على أساس الترتيب الزمني وروعي ضم أهم الاثار في قسم والفترات الرئيسية الأخرى في قسم اخر، وعلى النحو التالي القسم الأول :اثار الملك توت عنخ امون وهي حصيلة اكتشاف مقبرة واحدة لفترة زمنية واحدة بلغت الاثار فيها أكثر من ٣٥٠٠ قطعة اثرية من الذهب بالإضافة إلى المومياوات.

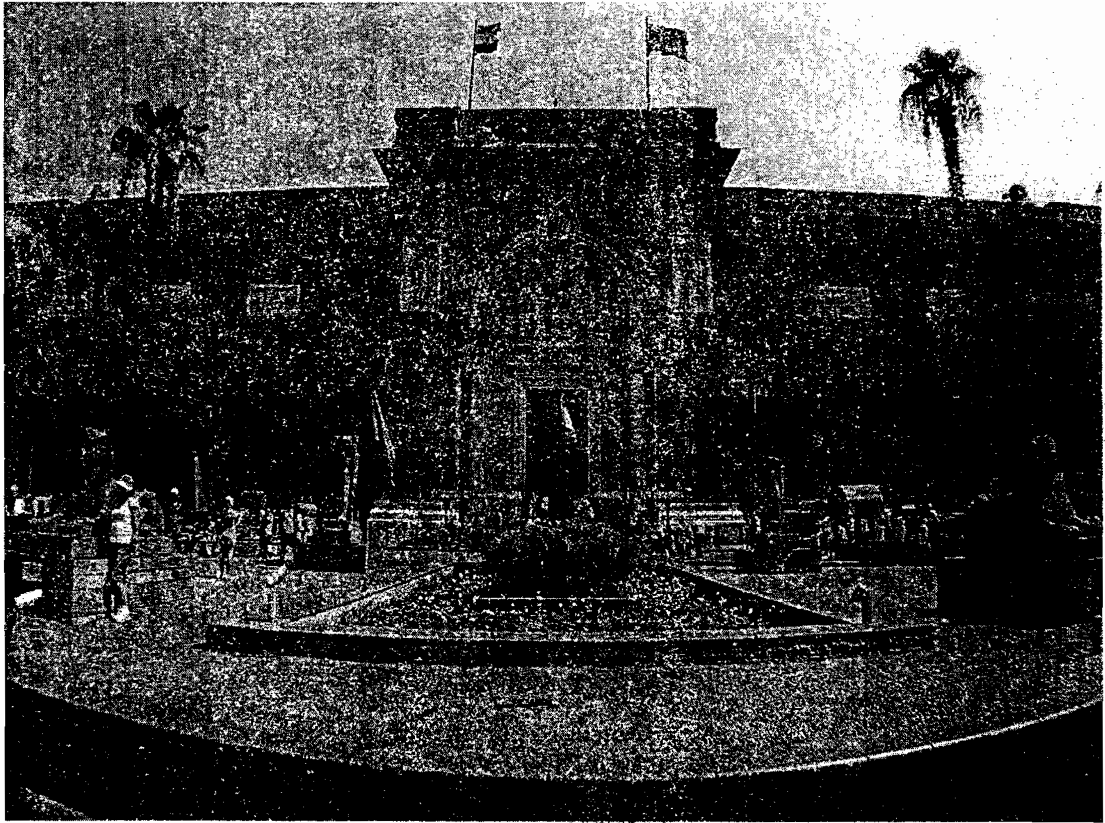
- القسم الثاني : الدولة القديمة وهي إحدى الفترات المزدهرة في تاريخ مصر القديمة وهي فترة بناء الاهرامات وفترة الملك خوفو وهي الفترة التي حكم فيها اربع اسر حاكمة" من الثالثة - السادسة ".
- القسم الثالث : الدولة الوسطى.
- القسم الرابع :الدولة الحديثة وهي فترة الامبراطورية العظيمة فترة رمسيس الثاني وتوت عنخ امون ومرنبتاح واخناتون وتحتمس
- القسم الخامس: من الاسرة" ٢١ إلى ٣٠ " اي وصولاً لدخول الاسكندر الأكبر إلى مصر.
- القسم السادس: قسم البردي والعملة، والتي جمعت فيها فيها كل البرديات.

القسم السابع : قسم" الجعارين

في واجهة المتحف المصري التي نقشت عليها صور أساتذة علم المصريات من الأوروبيين منهم ستة فرنسيون، وخمسة بريطانيون وأربعة ألمان وثلاثة من إيطاليا، وهولندي، ودانماركي، وسويدي، وفي لوحة أخري أسماء هيرودوت وأراطوسطين ومانيتو وأبوللو. الشيء الوحيد الذي يمكن أن يذكر

الزائر بأنه أمام مبني أقيم في مصر هو اسم الخديوي عباس حلمي الثاني الذي نقش فوق البوابة الرئيسية للمتحف وإن جاءت كتابته باللغة اللاتينية التي لا يعرفها مصري، وحتي سنة افتتاح المتحف الهجرية١٣٤٢ نقشت فوق البوابة بجوار السنة الميلادية باللغة اللاتينية وبأرقامها..annohegiraemccxvil ومن هنا مكثنا نشعر بالغربة مع آثارنا التي سوف نبرأ من قسوتها مع افتتاح متحفنا المصري الجديد عام٢٠٢٠ بجوار هضبة الأهرامات بالجيزة.. بمشيئة الله..

قام فاروق حسني وزير الثقافة السابق بوضع حجر أساس المتحف المصري الجديد على مساحة ١١٧ فداناً بطريق الفيوم الصحراوي وتكلفة المتحف الجديد تصل إلى ٣٠٠ مليون دولار، ويقوم المتحف بإصدار ثلاثة كتب أولها كتاب تاريخي وثائقي عن المتحف منذ عام ١٨٩٧ ومراحل إنشائه والقطع التي تعرض لأول مرة، وكتاب ثانيَ عن أحمد باشا كمال أول مدير مصري للمتحف والثالث أحمد يوسف أول مرمم مصري، وسيقوم المعرض الجديد يعرض المتحف مجموعة الممتلكات الشخصية للخديو عباس حلمي الثاني الذي افتتح المتحف .



ويري البعض ان االأوربيون عملوا على إنشاء المتحف بمصر بغرض استخدامه كإحدى الأدوات لاختراق مصر تمهيداً للاستيلاء عليها.. وبطبيعة الحال فلم يكن للمتحف المصرى نفس الأهمية والظهور الذى كان للأدوات الأخرى التى استخدمت فى هذا المجال كقناة السويس أو تجارة القطن أو القروض الدولية أو الامتيازات الأجنبية أو القضاء المختلط. وعلى الناحية الأخرى فقد كانت هناك

الحركة الوطنية البازغة والتى أراد فيها الوطنيون أن يستخدموا الآثار والمتحف الناشئ للتعبير عن الإرادة الوطنية ولكى يكون أداة من أدوات الاستقلال والعزة القومية..

ويمكن القول أن الخديوى إسماعيل كان راعيا لهذه الحركة التى لعب فيها رفاعة الطهطاوى دورًا رائدًا..

فقد شهد عصر إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) نهضة كبرى كما شهد مولد طبقة وسطي مستنيرة كان من الممكن أن يكون لها أكثر الأثر فى بناء مصرالجديدة والقوية لولا الهزيمة التى لحقت بهذا العصر بسبب الأزمات المالية والسياسية والاجتماعية الاقتصادية التى حلت به والتى أدت إلى احتلال مصر، ومن التبسيط المخل أن يقال أن هذه الهزيمة جاءت فقط بسبب سياسة إسماعيل المالية وقبوله الاستدانة من الدول الأوروبية على مقاييس واسعة. فالحقيقة هى أن مصر كانت مستهدفة للاستيلاء عليها من دول أوروبا التى كانت فى أوج توسعاتها الاستعمارية فى ذلك الوقت.

وفى خلال حكم إسماعيل تأسست الكثير من معاهد العلم والثقافة: دارالكتب والجمعية الجغرافية ودار الأوبرا والمسرح القومى ومدرسة دار العلوم، كما أعيد تنظيم التعليم وأنشئت المدارس التجهيزية والثانوية الحديثة وظهرت الصحافة وأنشيء مجلس للنواب وشاركت مصر فى المعارض والمؤتمرات العلمية الدولية، وفى حقل الآثار كان الطهطاوى وعلى مبارك وأحمد كمال يمثلون الأجيال المتعاقبة من المصريين التى بدأت العمل فيه على الرغم من الصعوبات البالغة التى كان يضعها ماريبت أمامهم، وأصبح المتحف المصرى الذى تأسس فى بولاق سنة ١٨٥٨ وافتتح فى سنة ١٨٦٣ وانتقل إلى مبناه القائم اليوم فى سنة ١٩٠٢ مركزاً يتعرف فيه الوطنيون على هويتهم.. وكان كتاب الطهطاوى «أنوار الجليل» الذى سبق الحديث عنه فتحًا جديدًا فى كتابة التاريخ بالعربية فقد اعتمد ولأول مرة على الوقائع والكتابات القديمة التى كانت قد فكت رموزها بدلاً من النقل عن الكتب السابقة دون تمحيص.

مصر ومعرض باريس الدولي ١٨٦٧

اشتركت مصر فى معرض باريس ١٨٦٧ واصدر الخديو اسماعيل اوامره الى ماربيت بك مدير المتحف المصرى بإتخاذ جميع الوسائل المؤديه الى جعل القسم المصرى فى ذلك المعرض فى مقدمه اقسام الدول الشرقيه قاطبه فنفذ ماريت بك الاوامر بكل دقه وكان انتصاراً كبيرا فأزدحم الجناح المصرى بالزائريين وتلقى ماربيت تشجيعا له وسام نسر بروسيا الاحمر من الطبقه الثانيه ووسام قائد كتيبه الشرف (١٨)

وقد أتاح المعرض الدولى بباريس للفرنسيين فرصه رؤيه بلاد الفراعنه . كانت أجنحه الشرق التى تستهوى السبعه ملايين نسمه الذين سارعوا على زيارة هذا المعرض المقام بساحه شان دى مارس بباريس . وكانت مصر – التى منحت حوالى عشرين ميداليه- تحتل فى اجنحه هذا الشرق الساحر المكان الاول بلا منازع .

ووقد سافر الخديو إسماعيل الى باريس لحضور افتتاح المعرض ، وكان مكللاً بهاله لقب جديد هو لقب " خديو " الذى فاوض مولاه السلطان القسطنطينية بشأنه طويلاً إن أحدا فى مصر لم يكن يعرف تماما معنى هذا اللقب الذى يبدو انه يعنى فى اللغه الفارسيه "الامير العظيم " . إنه اكثر رفعه وسمواً من لقب " الوالى" الذى ينطوى على فكرة التبعيه . وقد دفع إسماعيل باشا – حفيد محمد على

– مبلغاً كبيراً أيضاً للحصول على حق توريث الحكم وفقاً للنسب المباشر لاعضاء أسرته . هكذا تولى من بعده ابنه الأكبر توفيق ما أصبح يسمى بعرش مصر .
وكانت لدي فرنسا جميع الاسباب التي تدعوها الي استقبال الباشا بأبهة وفخامه ، وهو ناطق بالفرنسيه ومحب لفرنسا وخريج مدرسه سان – سير العسكريه الفرنسيه قامت سفن الاسطول الفرنسيه المزينه بالاعلام باستقبال المحروسه حين رست بميناء طولون يوم ١٥ يونيو ١٨٦٧ بينما أطلقت مدفعيه الحصون والقلاع نيرانيها بلا انقطاع وكان البارون أوسمان حاكم السين فى استقبال الخديو عند وصوله باريس وفى فناء محطه ليون وقفت كتيبه تابعه لفرقه المساه الثالثه والاربعيين وتحيه الضيف الكبير واستقل اسماعيل باشا وحاشيته خمس عربات تابعه للبلاط الامبراطورى مزينه بالكسوه الرسميه متجهين الى قصر التويلري فى حارسه حاملى الرماح بالحرس الامبراطورى ودخل الخديو إلى صالون القنصل الاول حيث كانت تجلس الامبراطورة ومن حولها كبير فرسان القصر والقائد الاعلى للحرس الامبراطور ووصيفه الامبراطورة وبعد الضباط (١٩)كان الامبراطور يعانى من الآم روماتزميه ولهذا لم يحضر الاستقبال وبعد مضى عشرة ايام دعى نابليون الثالث ضيفه إسماعيل باشا الذى اقام فى مقصورة مارسان لكى يجلس الى يمينه لاستعراض حمايه باريس ودعاه الى الغذاء فى سان – كلو حيث رافقة بنفسه فى جوله بقصر فرساى ثم ذهب فيما بعد لزيارته فى المعرض برفقه أسرته
احتل الجناح المصرى الذى أسند إقامته إلى ماربيت ٦٠٠ متر مربع وأشتمل على عدة مبان توضع مصر الفرعونيه والإسلاميه والحديثه آن واحد تم تعبئت حشد كبير من العلماء والمهندسين والمزخرفين يجعلوا منه عملا تعليميا بل ومبهراً وقال عنه إدمون ابو الكاتب الفرنسى المعروف " هذا العرض الفاخر يخاطب الروح كما يخاطب العينين لقد عبر فكرة ماهرا "(٢٠) وابتغى المبنى الاول ان يكون توليفا بين الامبراطوريه القديمه والجديده إذا شيد على نمد فيله والنمط البطليموسى أيضاً وكان ماربيت قد قام بعده رحلات إلى صعيد مصر لكى يرسم ادق التفاصيل
كان المعبد المقام فى المعرض بناءاً من الجبص المخلوط بالرمل الملصوق لتقليد الحجر الرملى ويوجد ممر من تماثيل ابو الهول يؤدى إلى مدخل المعبد الذى خطيت حوائطه للحروف الهيروغيليفيه ونعبر أعمده زينت تيجانها برأس الالهه حتحور قبل ان نمرر تحت اعمده الواجهه المزينه بثلاث مصب أحضرت من معبد أبى دوس أما المهوى الداخلى فقد زين بإسلوب مقابر تى وبتاح – خطب ويصف شار إجمونت هذا المشهد بقوله " حين يخطو الزائر اربع خطوات فإنه يكون قد شق طريق أربعين قرناً مجسده بمعمارها ونحتها
ورسومها " (٢١)
لم يقتنع مارببن بالاستنساخات وبالقوالب المصبوبه فأحضر من متحف بولاق فى مصر عدداً من التحف الثمينه مثل مجوهرات آح – حتب حوت والبقرة حتحور وتماثيل إيزيس وأزوريس وتمثال خفر الذى يحقر الصقر رأسه وقد عادت بعد هذه التحف الى مصر فى حاله سيئه فحطم تمثال الملكه أمينيريتس فى باريس وتشوه وجه شيخ البلد بسب صب قارب له خلفيه (٢٢)
وفى الدور الاول من مبنى حديث تم عرض ٥٠٠ جمجمه للمومياوات معروضه بترتيب الأسر وإذا ما كان مارببتن قد أراد أن يجعل من الجزء القديم درساً حياً فى الاثار إلا انه بالأحرى درس فى

الاعمال فحين يقوم الخديو بعرض جميع منتجات مصر وجميع الثروات الموجوده فوق أراضيها وتحتها فإنه يدعو التجار ورجال الصناعه الى الاستثمار فى بلاده (٢٣)

قد حقق الجناح المصرى نجاحاً عظيماً وسارت مصر لا تضاهى من نسبه لمعروضات المصنوعات اليدويه وامتلأت الصحف الباريسيه بالتفاصيل المثيرة والجذابه عن الجناح المصرى

وامام الجناح المخصص لقناه السويس كانوا يصطفون فى طابور وكان فرديناند ديليسبس يشرح بنفسه المشروع بالاستعانه بخريطه ضخمه مجسمه تظهر عليها نماذج مصغره للجرافات والصنادل المسطحه والعربات القلابه وكانت توجد ديوراما "لوحه أفقيه" صنعها مدير الأوبرا وتبين مراكب صغيره بدأت بالفعل تعبر جزءاً من البرزخ وحصلت الشركه على إحدى ميداليات المعرض الذهبيه على جناحها هذا واستقبل الخديو باريس كلها فى مبنى من التراز العربى مزخرف ببزخ . ندخل هذا المبنى من باب ذى مصراعين مغطى بالأرابيسك ومزين بالعاج والأبنوس والبرونز و بعض تكسيات الجدران الخشبيه أحضرت من قصور القاهرة . وتتدلى من السقف سته من قناديل الجوامع ويرى الزوار قرآناً فخماً مزخرفاً ومجلداً بجلد ماعز أحمر اللون . الرخام فى كل مكان ومن جميع الألوان . وقد افتتن أعيان باريس بحفيد محمد على الذى يتحدث معهم وهو جالس على أريكته يدخن النارجيله . وقالت جريده "لونيتور" عنه : "يتحدث إسماعيل باشا اللغه الفرنسيه بأسلوب صحيح تماماً وبدون أى لكنة " .

على ايه حال ،فلقد شكلت روعه المعرض انعطافا فى احوال مارييت . إذا إن الإمبراطورة أوجينى قد بلغ اندهاشها من المعروضات من الحلى حدا جعلها توصل إلى علم اسماعيل أنها سوف تكون فى غايه الغبطه إذا ما تلقتها كهديه . حين أخذ الباشا على حين غرة ، لم يستطع إلا أن يجيب بأن هذا سيكون موضع بهجته اذ يلبى رغبتها ، ولكنه أضاف بأن "هناك رجلا أقوى منى فى بولاق، ويجب أن تتقدمى بطلبك إليه" . وأو كلت لمدام كورنى ، اخت الإمبراطورة فى الرضاع مهمة شراء موافقه مارييت . وقدمت الطلب إليه بألفاظ غايه فى الدقه حتى إنه لم يستطع ان يدعى أنه لم يفهمها. ذلك انها عرضت عليه ، مقابل ذلك إدارة مكتب الطباعه الإمبراطورى ، أو إدارة المكتبه الإمبراطوريه ، وهو مقعد يشبه مقعد عضو مجلس الشيوخ . لكن مارييت رفض العرض ، شارحا السبب لمدام كورنى بأنه رغم كل اعتزازه بأن يرى أبداع ما فى الآثار المصريه فى أمان فى فرنسا ، إلا أنه مكلف بالحفاظ عليها فى التراب المصرى ، وأن يحميها فى مواجهه كل المطالبات الأجنبيه ، حتى لو جاءت من أبناء وطنه (٢٤)

الخديو إسماعيل ومدرسة اللسان القديم

أفلح إسماعيل فى أن ينشئ مدرسة للمصريين لتعلم لغة مصر القديمة (مدرسة اللسان القديم) على الرغم من محاولات الأوروبيين لمنع إنشائها.. ففى سنة ١٨٧٠ كلف الخديوى هيزيس بروجسن (١٨٢٧ – ١٨٩٤م(عالم الآثار الألمانى الشهير)(٢٥) بإقامة هذه المدرسة لدراسة الآثار واللغة المصرية القديمة فى عام ١٨٦٩ ،

وفي هذة المدرسة درس أحمد كمال (١٨٥١ - ١٩٢٣) -الأثرى الكبيرفيما بعد - بها اللغة المصرية القديمة(البعض يطلق عليها اللغة القبطية، وهذا خطأ شائع، والحقيقة أنه ليس هناك لغة قبطية وإنما يوجد فقط لغة مصرية قديمة ، وقد إستخدم الإغريق مصطلح "أقباط" على كل المصريين الذين يعيشون على أرض مصر وذلك قبل ظهور المسيح بنحو خمسمائة عام على الأقل، ومن ثم فكلمة

أقباط ليس لها صلة مطلقا بالمسيحية)، كما تعلم أحمد كمال اللغة الحبشية والفرنسة والألمانية والإنجليزية ، وأتقن دراسة التاريخ إلمصري القديم .

بعد تخرجه من مدرسة الآثار كان من المفترض أن يعمل أحمد كمال بمصلحة الآثار المصرية لكن الفرنسيين الذين كانوا يحتكرون العمل بالمصلحة رفضوا تعيينه ، لذلك إضطر للعمل بوزارة المعارف المصرية معلما للغة الألمانية بإحدى المدارس الأميرية بالقاهرة .(٢٦)

المؤامرة الفرنسية لإقصاء الأثريين المصريين عن العمل بمصلحة الآثار المصرية القديمة :

إحتكرت الجالية الفرنسية العمل بمصلحة الآثار المصرية وعملت على إستبعاد أبناء البلد من العمل فيها. وحول هذه القضية الشائكة يشير أحمد باشا كمال فى توثيقه لتلك المرحلة أن مصر شهدت إحتكارا فرنسيا لعلم المصريات خاصة بعد تعيين أوجست مارييت مديرا للآثار المصرية فى أول يونيو عام ١٨٥٨ والذى هيمن بقوة على إدارة الآثار المصرية، وظل الأمر كذلك لعدة سنوات . ولما تخرج عدد من المصريين الذين تعلموا بمدرسة الآثار المصرية وطلبوا الحصول على وظائف بمصلحة الآثار المصرية رفض مارييت ذلك. ولما تصاعد صوت الشباب المصرى الذى طالب بالعمل فى مصلحة آثار بلاده تصاعد بالمقابل رفض مارييت ، وأعلن المدير الفرنسى عن عدم السماح للمصريين بالعمل فى الآثار المصرية ، بل وزاد تعنته بأن أصدر أوامره بإغلاق مدرسة تعليم الآثار المصرية فى وجه المصريين فقط وفتح أبوابها لغير المصريين(أى الأوربيين المقيمين فى مصر)، إضافة إلى إقصاء المصريين من العمل فى الآثار المصرية بصفة عامة ، وتلك كانت بداية إشتعال الأزمة بين الوطنيين المصريين والإدارة الفرنسية بمصر ، وعليه تصاعدت إحتجاجات المصريين تدريجيا بمرور الوقت

وترجع بعض الدراسات التى أجريت فى هذا الخصوص أن سبب تفاقم تلك العنصرية الأوربية تجاه المصريين ترجع إلى الموقف الفرنسى العنصرى وما قام به مارييت من تحريض لعلماء الأزهر وطلابه ضد النخب المصرية العاملة فى مجال الثقافة والآثار المصرية ، وعندما وجهت التهمة لرجالات الأزهر بأنهم تواطئوا مع المحتل الغربى ضد أبناء بلدهم كانت حجة علماء الأزهر وخريجيه أن الآثار المصرية القديمة مجرد أصنام بالية وأن اللغة المصرية القديمة هى لغة الفراعنة الغير مسلمين وأنها لغة قبطية مسيحية(وهذا خطأ رهيب روج له الفرنسيون لإشعال الفتنة بين المسلمين والمسيحيين فى ذلك الوقت)) ، وقيل أن من يعمل فى الأصنام المصرية يعتبر كافر ومرتد ، وقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك . لكن المثير هنا أن علماء الأزهر وطلابه لم يشيروا بأصابع الإتهام على الإطلاق إلى الأوربيين الذين كانوا يعملون فى الآثار المصرية ولم يتهموهم بالزندقة وهذا يعتبر سوء فهم من بعض علماء ورجال الأزهر. وبالتحقيق بحثيا فى ذلك الموقف تبين أن وراء تلك الفتنة أيادى فرنسية عملت على توتر العلاقة بين علماء وخريجى الأزهر من جهة والنخبة المصرية من جهة أخرى ، وقد ظهرت عبارات فرنسية تشير إلى أن النخبة المصرية خاصة التى تعلمت بأوربا كانت تنظر إلى خريجى الأزهر نظرة دونية !. ونظرا لتلاحم وتداخل رجالات الأزهر القوى بين جميع شرائح المجتمع المصرى واجه أحمد باشا كمال وزملائه العديد من المشاكل والعقبات .

ومع إستغلال خريجى الأزهر والعاملين فى الشأن الدينى بالمساجد والجمعيات الخيرية قويت شوكتهم وإتسع نطاق نفوذهم فى الشارع المصرى ، وهنا إضطر الخديوى إسماعيل أن يكون وسطيا(رغم عدم إقتناعه) بين رجال الأزهر والفرنسيين من ناحية والنخبة المصرية التى يدعمها بنفسه من ناحية أخرى ،

ويذكر فى هذا الصدد أنه حاول أن يظهر عدم إفتتانه بالآثار المصرية أثناء إفتتاح متحف بولاق فى ١٦ أكتوبر ١٨٦٣ حتى قيل على لسان الفرنسيين ورجال الدين الأزهريين أن الخديوى إسماعيل لم يدخل المتحف ليرى ما بداخله بل وقف بفناء المتحف . ولعل ذلك هو ما شجع مارييت على إستغلال ذلك الموقف بشكل عنصرى بشع حيث قال أمام قناصل الدول الأوربية فى مؤتمر عقده بالقاهرة وحضره بعض أنصاره من الأزهريين : " إن المصريين جميعا لا يحبون الآثار القديمة ، لذلك يجب إبعاد أولادهم عنها لأنها لا تتماشى مع معتقداتهم الدينية المحافظة " . وأضاف مارييت: " وحتى لا يدمر الشباب المصري تلك المقتنيات الأثرية الثمينة الرقيقة فعلينا نحن الأوربيين العمل بها للحفاظ عليها

."وفى تلك الأجواء الفرنسية المعادية التى أرساها مارييت هجر الشباب المصرى ذلك التخصص لعدم توفير فرص عمل لهم ، وأضطر البعض الأخر للعمل فى بوظائف إدارية بعيدا عن تخصصهم . وعندما علم الأثرى الألمانى بروجش " ناظر مدرسة اللسان المصرى القديم "بموقف مارييت الفرنسى المتشدد قرر التصدى له وصمم على تعيين خريجى مدرسته(اللسان المصرى القديم) ومنهم أحمد كمال وزملائه بالعمل فى المتحف المصرى ، لكن مرة اخرى تصدى مارييت له وذهب إلى الخديوي طالبا منه رفع يد الألمانى بروجش عن المتحف المصرى

. وإضطر الخديوى على الموافقة لطلب ذلك المتشدد الفرنسى مارييت، وقد أدى ذلك إلى إنسحاب بروجش تفاديا للمشاكل . ومن ثم إضطر خريجي الآثار من المصريين فى النهاية إلى العمل بعيدا عن مصلحة الآثار المصرية ومتاحفها مثل مجالات التدريس والترجمة وغيرها . ومع ذلك لم ييأس الألمانى بروجش ، وظل يحاول إلحاق أحمد كمال وبعض زملائه بالأعمال الأثرية ، وكان نصيب أحمد كمال الحصول على وظيفة كاتب بمصلحة الآثار المصرية ، ثم تطور الأمر بعد ذلك ليعمل مترجما بالإنتيكخانة المصرية فى عام ١٨٧٣ ، ثم معلم لغة مصرية قديمة بها وهى اللغة التى كان يتقنها ببراعة .

ومع إستمرار ذلك التعنت الفرنسى عامة ومارييت خاصة فى إقصاء الأثريين المصريين عن العمل فى مصلحة الآثار المصرية ، والذى إستمر لنحو عشر سنوات قام المصريون خلالها بمطالبة الخديوى تارة والتظاهر تارة أخرى إلى أن وافق الخديوى اسماعيل فى عام ١٨٧٣ الموافق ١٢٩٠ هـ على تعيين أحمد كمال فى وظيفة أمين مساعد بالمتحف المصرى ، فكان أول مصرى يتقلد ذلك المنصب (وقد إستمر فى منصبه حتى بلغ الستين من عمره، بالإضافة إلى قيامه بتدريس اللغة المصرية القديمة والتاريخ الفرعوني بمدرسة المعلمين العليا ، وكذلك فى الجامعة المصرية الأهلية بعد ذلك).

لم تتوقف قسوة وعنصرية الفرنسيين على النخب المصرية العاملة فى حقل الآثار المصرية عند هذا الحد ، فقد أصدر مارييت قرارا عام ١٨٧٤ بإغلاق مدرسة اللسان المصرى القديم وذلك لمنع تخريج أية دفعات من الشباب المصرى المتخصص فى الآثار المصرية، وشدد على أن العمل فى هذا المجال للأوربيين عامة والفرنسيين خاصة .

والحقيقة أن الخديوى إسماعيل كان رافضا لموقف مارييت المشين ، لكن مع زيادة التدخل الأنجلو فرنسى فى الشأن الداخلى المصرى والضغط على الخديوى مستغلين فى ذلك ورقة الديون الأوربية على مصر، ومع صمت الحكومة والصحافة وعدم قدرة الحركة الوطنية على مناهضة التدخل الأجنبى إلا من إحتجاجات محدودة هنا وهناك تطالب بإعادة فتح مدرسة اللسان المصرى القديم . ووسط ذلك الضعف العام أصبح مارييت صاحب الصوت الأعلى وأصبح يمثل حجر عثرة بل عقبة رهيبة أما شباب مصر الذين يريدون دراسة آثار بلادهم والعمل فيها من أجل حمايتها ورصد تاريخها للأجيال القادمة ، إلا أن حملات المصريين الوطنيين ضد ماريت والتدخل الفرنسى ظلت تتسع وتناهض بكل الصور والأشكال تلك العنصرية الفرنسية ، وتعددت أساليب المقاومة بين السلمية إلى التفكير فى التصفية الجسدية، وإستمر الحال كذلك إلى أن قضى الله أمرا كان مكتوبا .

بعد وفاة الفرنسى مارييت فى عام ١٨٨١ تم تعيين جاستون ماسبيرو مديرا لمصلحة الآثار التاريخية والأنتيكخانة المصرية . وفي ٢٧ نوفمبر ١٨٨١ حصل أحمد أفندي كمال مترجم المصلحة على الدرجة الثالثة، ثم عمل " خوجة " (أى مدرسا) ثم ناظراً لمدرسة المتحف، وفى تلك المرحلة أكتشف عددا من السرقات للآثار المصرية قام بها نفر قليل من الأجانب(معظمهم من الفرنسيين). كان من أهم تلك المسروقات عدد كبير من البرديات منها ٩٣ بردية على درجة عالية من الأهمية ، بالإضافة إلى مسروقات ذهبية وغيرها وكان بعضها يباع علنا بأسواق أوروبا منذ منتصف سبعينيات القرن التاسع عشر ، وأشارت التقارير إلى أنها تسربت من الأقصر. وبعد الإعلان فى الصحافة عن تلك السرقات ومطالبة الخديوى توفيق بالتدخل للكشف عن مرتكبيها من الأجانب ، وافق الخديوى على إرسال أحمد كمال ومعه هنرى بروجش إلى أوربا في ديسمبر عام ١٨٨١ للبحث والتقصى عن تلك المسروقات بهدف تقديم من قام بها للعدالة بتهمة السرقة .وبالفعل تمكن أحمد

كمال وبروجش من الوصول إلى عدد من اللصوص الإنجليز والفرنسيين الذين أدلوا بإعترافاتهم والتى مكنت البوليس المصرى من التعرف على المكان الذى سرقت منه وتبين أنه "خبيئة الدير البحري" الواقعة بالقرب من معبد القرنة بالأقصر(لكن لم يتم العثور على عدد من البرديات قدر بنحو ٩٣ بردية منها برديات تشير بوضوح إلى رحلة إخناتون التبشيرية حول العالم، وبعضها يشير إلى وجود سيدنا إبراهيم وزوجته سارة وتعلمه ديانة التوحيد التى إنتشرت فى جنوب مصر فى ٢٢٠٠ قبل الميلاد ، إضافة إلى أشياء أخرى تتعلق بإنتشار اللغة المصرية القديمة بين الشعوب المجاورة لمصر) . يذكر أن تلك الخبيئة ظلت مكانا سريا لسرقات الفرنسيين لسنين طويلة، وكانت تعد من أعظم اكتشافات الآثار المصرية عبر التاريخ والتي جسدها فيما بعد المخرج شادي عبد السلام في فيلمه الشهير " المومياء " وأشار في فيلمه إلى تلك السرقات التى قام بها الفرنسيين والإنجليز وغيرهم من الأوربيين الذى عملوا فى الآثار المصرية القديمة

ومع وجود ماسبيرو مديرا لمصلحة الآثار المصرية والإنتيكخانة لم يتغير شيئا بشأن الإدارة الفرنسية لمصلحة الآثار المصرية ، بل ظل النظام العنصري الفرنسي معمولا به ضد المصريين أصحاب البلاد . وعليه ظلت العبارة الفرنسية الشهيرة التى كان يرددها ماريت فى الإعلام الأوربى ترن فى آذان النخب المصرية ألا وهى: المصريون لا يعرفون أهمية آثار بلادهم ويجب إبعاد أولادهم عنها لأنها لا تتماشى مع معتقداتهم الدينية حتى لا يدمر الشباب المصري تلك المقتنيات الأثرية الثمينة الرقيقة ، وعلينا نحن الأوربيين العمل بها للحفاظ عليها).

وبدأ الباحثون من النخب المصرية يبحثون فيما يقوم به الأجانب فى مصر وما يثيرونه من قلاقل ، وتأكد الوطنيون من أن أولى الفتن الطائفية بين المسلمين والمسيحيين الأوربيين المقيمين فى مصر التى وضع أساسها القنصل السويدى بالأسكندرية هى التى ساهمت بقدر كبير فى مذبحة الإسكندرية الشهيرة فى ١١ يونيو ١٨٨٢ وباركها الفرنسيون والإنجليز ، ومن ثم فإن الفتنة التى أشعلت صدور رجال الدين المصريين المتشددين ضد النخبة المصرية قد وضع أساسها الفرنسيون فى نفس الفترة أيضا ، وهو ما يعنى أن هناك مخططا أوربيا وضع أساسه القنصل السويدى بالتعاون مع الإدارة الفرنسية بمصر ليقوم بتنفيذه الإنجليز لتدمير الجبهة الداخلية فى محاولة لإحتلال بريطانيا لقناة السويس مقابل سيطرة فرنسا على تونس بشمال إفريقيا .

بعد تولي ماسبيرو رئاسة مصلحة الاثار المصرية بنحو عام قامت الثورة العرابية فى ٢٥ مايو ١٨٨٢ ويذكر أن أهم الهتافات التى خرجت أثناء المظاهرات كانت تطالب بالتمصير وبخروج الأجانب من مصر (أى ضد الفرنسيين والإنجليز تحديدا) وضرورة تولى المصريين زمام أمور بلادهم بأنفسهم . لكن بعد فشل الثورة ونفى عرابى وإحتلال الإنجليز لمصر حدث غليان داخل البلاد إضطر على أثره قيام ماسبيرو بتعيين عدد محدود من المصريين فى الأنتيكخانة المصرية .

اصدر الخديو توفيق فى ١٦ مايو ١٨٨٣ الامر العالى باعتبار "دار الانتيكات المصريه ومحتوياتها من املاك الحكومة ذات المنفع العموميه " ونص فى اول تصريح منحى للتنقيب على الاثار عام ١٨٨٤ بإن تبقى فى مصر جميع القطع التى يعثر عليها مهما يكون نوعها وقيماتها والعصر الذى تنتمى اليه فى هذا التصريح قيل صراحه ان الاثار تبقى ملك للحكومه المصريه وتودع فى متحف بولاق ولكن الخديو بعد ذلك اهدى المستكشفين الانجليز بعضاً من اثار تل المسخوطه (٢٧)

وعندما تمكن الإنجليز من إحكام السيطرة على البلاد ، قام ماسبيرو بدعم من سلطة الإحتلال البريطانى بإغلاق إحدى المدارس الكبرى التى تم إفتتاحها لتعليم المصريين آثار بلادهم وذلك فى إطار خطة فرنسية-إنجليزية ترمى إلى إبعاد المصريين عن ممارسة العمل فى آثار بلادهم أو معرفة أعدادها ومكوناتها حتى يسهل سرقتها . لكن ما قام به ماسبيرو من غلق لتلك المدرسة ، بالإضافة إلى قيامه بمواقف أخرى متشددة ضد المصريين العاملين فى حقل الآثار أدت إلى ثورة المصريين العاملين فى الآثار ضده وساعدهم فى ذلك الأحزاب الوطنية خاصة الغير معلنة التى كانت تعمل فى إطار تشكيل وطنى سرى للتخلص من الأجانب .

وفى النهاية إضطر ماسبيرو إلى ترك العمل فى عام ١٨٨٦. وتولى بعده ثلاثة من الفرنسيين ذلك المنصب.(أوجين جريبو ١٨٨٦-١٨٩٢،جاك دي مورجان ١٨٩٢-١٨٩٧،فيكتور لوري ١٨٩٧-١٨٩٩)

وقد منع جريبو تصدير الاثار وقال الامر العالى الذى اصدرة الخديو توفيق فى ١٧ نوفبر عام ١٨٩١ لمنع الحفر الا برخصه من مدير عموم دار التحف الحفر ووضعت شروط ونصوص محدده فى كل ترخيص وجرت تيسيرات اخرى عام ١٨٩٣ اعترفت الائحه الجديده بانه يجوز تعويض بعثات التنقيب بالتنازل لها عن نصف القطع المكتشفه

وكان مدير مصلحه الاثار جاك مرجان وخلفه فيكتر لوريه عام ١٨٩٧ لمده عامين وبعد عودته الى فرنسا انشأ مدرسه للاثار المصريه فى مدينه ليون واصدر قاموسا للغه الهيروغليفيه من جزئين ضما ٢١٧٩ كلمه

وفى عام ١٨٩٩طلبت سلطات الإحتلال من الخديوى توفيق إعادة تعيين ماسبيرو مديرا لمصلحة الآثار التاريخية والأنتيكخانة المصرية،وعاد ماسبيرو للإدارة مصلحه الاثار عام ١٨٩٩ ليبقى ١٥ سنه اخرى مديرا هذه المصلحه لعهد الثانى لماسبيرو تدفق الاجانب للبحث عن اثار مصر بصورة لم يسبق لها مثير واعد ماسبيرو مشروع قانون يدور حول هدف واحد هو تقسيم الاثار مناصفه بين المصلحه والمكتشف ووافق اسماعيل سرى باشا وزير الاشغال الذى تتبعه مصلحه الاثار على المشروع واقرو مجلس الوزراء برئاسه محمد سعيد باشا ووقعة الخديو عباس حلمى الثانى عام ١٩١٢

وقد تغيرت نظرته تجاه المصريين الذين كانوا يرصدون خطاه فى كل مكان يذهب إليه، ولما تبين له أنه مستهدف وغير آمن على حياته أعاد النظر فى تعامله مع المصريين ومن ثم أبدى احتراماً وتقديراً ملفتاً لأحمد كمال الذى عينه مساعدا له فى إدارة مصلحة الآثار التاريخية والأنتيكخانة المصرية .

فى عام ١٨٩٠ ونظرا لبعض السرقات ولدواعى أمنية بذل أحمد كمال جهودا مضنية في عملية نقل آثار المتحف المصري من بولاق إلى متحف الجيزة وقام بتنظيمه وترتيبه رغم معارضة ماسبيرو الذى كان يرفض وجودا أمنيا مستحكما . وظل متحف الجيزة يعمل بكفاءة ، لكن بعد أن تكدست به التحف وأصبح غير قادر على إستيعاب المكتشفات الجديدة وهو ما سهل تعرض بعض تلك المقتنيات للنهب ، قرر أحمد باشا كمال نقل المقتنيات من متحف الجيزة إلى المتحف الحالي بوسط القاهرة وذلك فى عام ١٩٠٠ الموافق (١٣١٨ هـ) . كما طالب بضرورة إنشاء المتاحف في عواصم الأقاليم المصرية ، وبالفعل نجح في إنشاء متاحف في أسيوط والمنيا وطنطا.

فى أخريات حياة الخديوى توفيق وتحديدا فى أكتوبر ١٨٩١ حدث تغيرا سعيدا لم يكن متوقعا ، فقد قرر الخديوى أن يصبح أحمد كمال أول مصري يتقلد منصباً أثرياً رسمياً بالمتحف المصري.. وقد جاء ذلك في مذكرة من اللجنة المالية إلى مجلس النظار(الوزراء) بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٨٩١م تطلب اللجنة تعيين أحمد أفندي كمال بوظيفة مساعد أمين لحفظ الأثارات في إدارة عموم الأنتيكخانة المصرية بمرتب سنوي ٣٠٠ جنيه (بواقع ٢٥ جنيهاً شهرياً). وقد كان ذلك بمثابة رد إعتبار للمصريين العاملين فى الآثار المصرية.

وفى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى الذى بدأ فى ٨ يناير ١٨٩٢ أختير أحمد كمال عضواً بالمجمع اللغوي الذي أسسه نفر من المهتمين بقضايا اللغة العربية عام ١٨٩٢، كما أختير عضوا شرفيا بالمعهد العلمي العربي بالشام (المجمع الدمشقي) .

وفى عام ١٩٠٤ أنتخب أحمد كمال لعضوية المجمع العلمي المصري ، بعد أن تحقق له شهرة خارج حدود مصر في الأوساط الثقافية الأوروبية خاصة بعد أن نشر له العديد من المقالات في المجلات العلمية . بالإضافة إلى عضويته بالجمعية الجغرافية الخديوية، وكذلك عضويته بجمعية الرابطة الشرقية . في تلك المرحلة سعى أحمد باشا كمال لدى وزير المعارف أحمد حشمت باشا لإنشاء فرقة لدراسة علم الآثار المصرية بمدرسة المعلمين الخديوية، فوافق الوزير وأنشئت أول فرقة التى تخرجت عام ١٩١٢ وحاول أحمد كمال أن يلحق بعض أعضائها بالمتحف المصري، لكنه لم يوفق؛ بسبب العراقيل التي أقامها الفرنسيين والإنجليز في سبيل ذلك، فاشتغل خريجو هذه الفرقة بالتدريس ، وكان من بينها عدد من الطلاب صاروا بعد ذلك من كبار علماء التاريخ والآثار، مثل سليم حسن ، وأحمد عبد الوهاب باشا، ومحمود حمزة

ظل أحمد كمال فى منصبه " أمين حفظ الأثارات فى إدارة عموم الأنتيكخانة المصرية " حتى خرج للتقاعد فى عام ١٩١٤ وهو نفس العام الذى خرج ماسبيرو للتقاعد أيضا، وكذلك نفس العام الذى عمل الإنجليز على إقصاء الخديوى عباس حلمى الثانى ونفيه إلى تركيا ودعم السلطان حسين كامل لإعتلاء عرش البلاد نظرا لقربه الشديد منهم ، وهو أيضا نفس العام الذى وقعت فيه أحداث الحرب العالمية الأولى، وكانت مصر فى أسوأ أوضاعها الإقتصادية .

وفى عام ١٩٢٣ نجحت مساعي أحمد باشا كمال في تعيين ثلاثة من خريجى علم الآثار المصرية بمدرسة المعلمين الخديوية بالمتحف المصري ، وبعد عام من العمل تقرر إرسالهم إلى فرنسا وإنجلترا لإتمام دراسة الآثار هناك، والثلاثة هم: سليم حسن صاحب موسوعة "مصر القديمة"، ومحمود حمزة،

وسامي جبرة. كما سعى أحمد باشا كمال لدى وزارة المعارف إلي إحياء دراسة الآثار بمدرسة المعلمين العليا، وبالفعل أعادت الوزارة افتتاح فرقة دراسة الآثار واللغات القديمة بمدرسة المعلمين فى عام ١٩٢٤ (الموافق ١٣٤٢ هـ) أي بعد وفاته بعام ، وقد التحق بهذه المدرسة طلاب الشهادة التوجيهية(الثانوية العامة حاليا) . ولما أنشئت الجامعة المصرية تقرر أن يكون من بين أقسام كلية الآداب قسم للآثار، ثم استقل بعد ذلك بسنوات عديدة وصار كلية خاصة بالآثار

الاحتلال البريطانى والاتفاق الودى لسنة ١٩٠٤:

قبل الاحتلال وفي أول أبريل ١٨٨٢ أعلن في لندن عن تشكيل جمعية التنقيب المصرية للبحث عن الآثار: هدفها الأول محاولة الوصول إلي حقيقة الفترة الضائعة في تاريخ مصر وهي الـ٤٠٠ عام التي عاشها اليهود في مصر وطريق خروجهم منها.. والهدف الثاني أن يحصل المتحف البريطاني علي نصيب من آثار مصر بطريقة قانونية سليمة. وتعاون الجمعية مع السير أرنست واليس بادج الأمين المساعد للقسم المصري في المتحف البريطاني لنقل مسلة كليوباترة من الإسكندرية إلي إنجلترا لتستقر علي ضفاف التيمس. وقد بدأت الجمعية عملها بالتنسيق مع ماسبيرو ويعدل ماسبيرو القوانين لصالح الجمعية فيسمح بتصدير الآثار عام ١٨٨٤.. هكذا ساعد الجمعية في نهب آثار مصر.ولم يعارض إسماعيل سري باشا في تنفيذ نصوص القانون وتقسيم الآثار.. قال الإنجليز في تقاريرهم الرسمية السرية أن إسماعيل سري رجلنا في مصر.(٢٩)

ولم يمس احتلال مصر في سنة ١٨٨٢ ودخولها ضمن أملاك الامبراطورية البريطانية الطريقة التى كان علم الآثار يدار بها إلا أن اهتمامًا أكبر أعطى للكلاسيكيات وللتاريخ اليونانى الرومانى

والذى كان حتى ذلك التاريخ مهملاً ولم يكن ضمن اهتمامات المصريين.. وربما عاد اهتمام البريطانيين بالكلاسيكيات إلى بناة الإمبراطورية كانوا يعتبرون أنفسهم الورثة الشرعيين للإمبراطورية الرومانية وحراس الحضارة الإغريقية القديمة التى كانت دراساتها تشكل مادة أساسية فى مناهج مدارسهم وجامعاتهم.. وكان جلادستون رئيس وزراء بريطانيا الذى أعطى الأمر للجيش البريطانى بغزو مصر أستاذًا فى علم الكلاسيكيات وصاحب مؤلفات كثيرة عن هومر وغيره من كبار مفكرى الإغريق واللاتين الأقدمين. كما كان كرومر المندوب السامى البريطانى فى مصرمن نفس هذه المدرسة. ويعود الاهتمام أيضًا بهذا العصر إلى الجاليات الأجنبية الكبيرة التى بدأت تنشأ فى مصر فى ذلك الوقت وعلى الأخص بمدينة الإسكندرية، والتى كان اليونانيون والإيطاليون يحتلون الجزء الأكبر فيها والتى لابد أن شدها الاهتمام بآثاربلادها الأصلية التى كانت تشهد حركات تحرير وطنية.. ولعبت هذه الجاليات دورًا مهمًا فى تمويل وإنشاء متحف الآثار اليونانية الرومانية بمدينة الإسكندرية والذى افتتح فى سنة ١٨٩٢ بحضور الخديوى عباس حلمى الثانى.. وكان للمتحف مدير إيطالى تعينه بلدية الإسكندرية التى كانت مسئولة عنه حتى منتصف القرن العشرين عندما ضم إلى مصلحة الآثار.. ولابد من التنويه هنا إلى أن المصريين بدأوا يعون أهمية هذا العصر بل أهمية دراسة الكلاسيكيات فى هذه السنوات أيضًا..

وفى سنة ١٨٧٢ نشر العالم المصرى الفذ محمود الفلكى (١٨١٥ ـ ١٨٨٥) نتائج أبحاثه وحفائره عن مدينة الإسكندرية القديمة فى مجلد نشر باللغة الفرنسية لايزال يعتبر مرجعًا مهمًا عن التاريخ اليونانى الرومانى القديم لهذه المدينة.. وبعد ذلك بأعوام نشر على مبارك (١٨٢٣ ـ ١٨٩٣) فى كتاب «الخطط» فصولاً عن هذا العصر.(٣٠). ثم جاءت ترجمة الكلاسيكيات اليونانية إلى العربية والتى كان من روادها سليمان البستانى وجورجى زيدان ثم لطفى السيد من بعدهما ونهاية بطه حسين رائد الدراسات الكلاسيكية فى مصر ومؤسس مدرستها العتيدة فيها.

ولم يغير كرومر من عمل مصلحة الآثار التى ضمها إلى نظارة الأشغال العمومية وتركها فى أيدى الفرنسيين والتى كان قد اختير لإدارتها عالم الآثار ماسبيرو (١٨٤٩ ـ ١٩١٩) بعد وفاة مارييت سنة ١٨٨١.. وكان ماسبيرو وقت اختياره مديرًا للبعثة الفرنسية بمصر، والتى كانت قد تأسست فى سنة ١٨٨٠ وسميت بالمدرسة الفرنسية بالقاهرة ثم المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى سنة١٨٩٨ وهو المعهد الذى لايزال قائمًا حتى اليوم.. وقد لعب هذا المعهد دورًا مهمًا فى ميدان الآثار فى مصر وتميز بإصداراته المرجعية من بحوثه وكشوفه والتى كانت تطبع بمطابعه الحديثة بالقاهرة وكذلك بسبب صلته الوثيقة بمصلحة الآثار فقد خرج من بين علمائه جميع مديرى هذه المصلحة وحتى سنة ١٩٣٦ (باستثناء دى مورجان الذى شغل المنصب لخمس سنوات بين سنتى ١٨٩٢، ١٨٩٧).

وربما عاد عدم تدخل كرومر فى أعمال مصلحة الآثار وعدم تشجيعه لإنشاء معهد بريطانى لدراسة الآثار بمصر كذلك الذى أنشأته فرنسا وألمانيا بعد ذلك بسنوات إلى أنه كان يسعى لإرضاء فرنسا حتى يمكن الحصول على موافقتها مع استيلاء بريطانيا على مصر وهو الأمر الذى تم بالفعل بعد ذلك بسنوات فى الاتفاق الودى الذى أبرم فى سنة ١٩٠٤ وفى هذا الاتفاق وافق البريطانيون على بقاء إدارة مصلحة الآثار المصرية فى يد الفرنسيين.. ولاشك أن السياسة البارعة التى اتبعها ماسبيرو فى إدارة مصلحة الآثار قد ساهمت فى نجاح سياسة كرومر فى الوصول إلى هذا الاتفاق، فقد غير ماسبيرو سياسة المواجهة التى كان يسير عليها سلفه مارييت وفتح الباب أمام البعثات البريطانية التى

كانت تمول فى ذلك الوقت من صندوق خاص Egypt Exploration Fund.. وفى هذه الفترة برز الأثرى البريطانى الشهير فلندرز يثرى باكتشافاته الكبيرة التى سلك فى الوصول إليها طرق البحث العلمى.. كما فتح الباب أمام البعثات الألمانية وعين مساعدًا له هنرى بروجسن الألمان.. وكانت ألمانيا فى ذلك الوقت ترنو أن يكون لها موضع قدم فى مصر خاصة بعد أن توحدت وأصبحت قوة عسكرية لا يستهان بها وقوة علمية وثقافية مهيبة ببروز نجم معاهدها العلمية وجامعاتها.. ولابد من التنويه هنا إلى أنه كان لألمانيا (أو بروسيا) وجود كبير فى أوائل القرن التاسع وقت نشاط الأثرى الكبير لسبيوس.. وقد توج النشاط الأثرى الألمانى بإنشاء المعهد الألمانى للآثار بالقاهرة فى سنة ١٩٠٥.

أما أكبر الأثر الذى تركه ماسبيرو فقد كان فى فتحه الباب أمام المصريين للدخول فى حقل الآثار، وكان أحمد كمال خريج مدرسة اللسان القديم التى أسسها بروجسن فى سنة١٨٧٠ ولم يقدر لها أن تستمر أول أثرى مصرى يعين فى مصلحة الآثار..المصرى الآخر من خريجى مدرسة اللسان القديم والذى وجد مكانًا له فى حقل الآثار هو أحمد نجيب (١٨٤٧ - ١٩١٠) الذى قام بترجمة كتاب «أجرومية اللغة العربية» لبروجسن إلى اللغة العربية فكان بذلك أول من كتب بالعربية عن هذه اللغة القديمة.. واستفاد أحمد نجيب، كما استفاد من قبله أحمد كمال من التنافس الذى كان قائمًا بين فرنسا وانجلترا على قيادة علم الآثار فى الفترة التى ترك فيها ماسبيرو إدارة المتحف بين سنتى ١٨٨٦ و١٨٩٩ وعُين بالمتحف حتى يمتنع تعيين إنجليزى فيه..

وقد عمل ماسبيرو عند عودته لإدارة المتحف فى سنة ١٨٩٩ وحتى وفاته فى سنة ١٩١٦ على إزالة هذا التنافس والذى مهد به لعقد اتفاق سنة ١٩٠٤ الودى.

الآثار العربية والإسلامية:

كان من أثر توسع القاهرة فى عصر إسماعيل وانتقال نخبها للعيش فى المناطق الجديدة التى تم تخطيطها وزودت بخطوط المياه والأنوار وشقت فيها الطرق الواسعة وربطت بطريق النيل بإقامة كوبرى قصر النيل، إهمال القاهرة القديمة وما حوته من آثار عربية وإسلامية(٣١) مما دعا الخديوى إسماعيل إلى إنشاء لجنة للحفاظ على هذه الآثار فى سنة ١٨٦٩، عُين لإدارتها المهندس المعمارى جوليس فرانز الألمانى والموظف بإدارة الأوقاف التى كانت تتبعها هذه الآثار.(٣٢)

وقام فرانز بجمع بعض الآثار وعرضها بجامع الظاهر بيبرس بالقاهرة.. إلا أن عمل اللجنة سرعان ما تعثر بسبب الأزمة المالية التى حاقت بالبلاد مما دعا المؤتمر الدولى للمستشرقين إلى دعوة الحكومة المصرية للموافقة على إنشاء لجنة مشتركة للعمل على الحفاظ على هذه الآثار وقبِلَ الخديوى توفيق الدعوة وتشكلت اللجنة من عدد من المهتمين بهذه الآثار، من المصريين والأجانب فى سنة ١٨٨١ وأثناء أحداث الثورة العرابية..وعندما احتل الإنجليز مصر أُعيد تشكيل اللجنة بعد أن أُبعِدَ عنها محمود سامى البارودى وغيره من أنصار الثورة العرابية وإن كان قد أبقى فيها على مبارك ومحمود الفلكى بعد أن أظهرا ولاءهما للخديوى توفيق.. ودفع اللورد كرومر العمل باللجنة ودبَّر لها من صندوق الدين ميزانية كافية لبناء متحف للآثار العربية والإسلامية ولدار الكتب

لم يكن عمل اللجنة سهلاً فقد تنازعته مصالح الجهات المختلفة التى كانت تتشكل منها.. وكانت اللجنة تابعة لإدارة الأوقاف التى كان الخديوى توفيق ومن بعده عباس حلمى يحرصان على أن تتبعهما وأن تكون تحت سيطرتهما بسبب أن هذه الإدارة كانت تتيح لهما دخلاً لم يكن الحصول عليه

محتاجًا لموافقة السلطة البريطانية الحاكمة.. وأدى هذا الحرص إلى كثير من النزاعات التى كان يثيرها رئيس وأعضاء اللجنة من موظفى إدارة الأوقاف مع زملائهم من أعضاء اللجنة من الأوروبيين ممن كان لهم جدول أعمالهم أو من أعضاء اللجنة من الوطنيين ممن كانوا يرغبون فى أن يجعلوا من هذه الآثار تراثًا قوميا يثرى الحركة الوطنية.. وقد لعبت الصدفة فى أن يقوم بهذا الدور حسين فخرى وزير الأشغال ويعقوب أرتين ذو الأصول الأرمينية واللذان دفعا بالمصريين للعمل باللجنة وشجعا الحفاظ علي الآثار من التبديد ومن سوء الاستخدام.. وكان أول من التحق بالعمل باللجنة من المصريين على بهجت (١٨٥٤ - ١٩٢٤) الذى كان قد بدأ اهتمامه بالآثار الإسلامية والعربية فى سنة ١٨٨٧ عندما قام بترجمة محاضر جلسات أعمال اللجنة التى كانت تكتب اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية بتكليف من أرتين الذى توسم فيه المستقبل الحسن وأرسله لدراسة هذه الآثار بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة والذى كان قد بدأ دراستها العلمية بوصول رائد هذه الدراسات السويسرى ماكس فان برشم Max Van Berchem ولمع اسم على بهجت بسبب كتاباته العلمية التى وجدت طريقها للنشر فى أمهات المجلات العلمية وبسبب حفائره فى منطقة الفسطاط التى أعاد اكتشافها ونبه إلى أهميتها التاريخية البالغة.

وأتاح قيام الحرب العالمية الأولى وعودة جوليس فرانز مدير المتحف إلى ألمانيا الفرصة أمام على بهجت لكى يصبح مديرًا لهذا المتحف فكان بذلك أول مدير مصرى له.

و كان الرأي قد استقر علي بناء المبني الحالي في ميدان باب الخلق تحت مسمي (دار الآثار العربية)وتم وضع حجر الأساس سنة١٨٩٩ م وانتهي البناء سنة ١٩٠٢ م، ثم نقلت التحف إليه، وتم

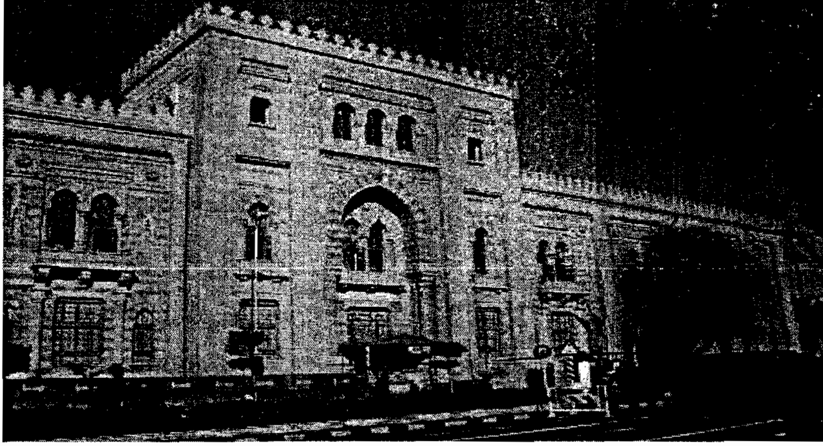
افتتاحه علي يد الخديوي عباس حلمي في ٩ شوال ١٣٢٠هـ/٢٨ ديسمبر ١٩٠٣ م في ميدان "باب الخلق" أحد أشهر ميادين القاهرة الإسلامية، وبجوار أهم نماذج العمارة الإسلامية في عصورها المختلفة الدالة على ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من ازدهار كجامع ابن طولون، ومسجد محمد علي بالقلعة، وقلعة صلاح الدين ليكون ثاني مبنى شيد بالخرسانة المسلحة بعد المتحف المصري

وحضر الاحتفالية الأمير محمد علي باشا، والأمير أحمد فؤاد "الملك فؤاد الأول فيما بعد"، كما حضرها رياض باشا رئيس مجلس النظار (الوزراء) واللورد كرومر المندوب السامي البريطاني، وقناصل الدول الأجنبية، والشيخ حسونة النواوي شيخ الجامع الأزهر، والإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية، وعدد من أعضاء مجلس شوري القوانين والجمعية العمومية، ورئيس وأعضاء لجنة حفظ الآثار العربية، وعدد من أصحاب الصحف والصحفيون، وعدد كبير من الأعيان. (٣٣)

وقد سُمي بهذا الاسم منذ عام ١٩٥٢ م، وذلك لأنه يحتوي على تحف وقطع فنية صنعت في عدد من البلاد الإسلامية، مثل إيران وتركيا والأندلس والجزيرة العربية... إلخ، وكان قبل ذلك يسمى بدار الآثار العربية.

يعد "متحف الفن الإسلامي" بمنطقة باب الخلق بقلب القاهرة التاريخية أكبر متحف إسلامي فني في العالم؛ حيث يضم المتحف ما يزيد علي ١٠٠ ألف قطعة أثرية متنوعة من الفنون الإسلامية من الهند والصين وإيران مرورا بفنون الجزيرة العربية والشام ومصر وشمال أفريقيا والأندلس.

وترجع أهمية هذا المتحف إلى كونه أكبر معهد تعليمي في العالم معني بمجال الآثار الإسلامية وما يعرف بالفن الإسلامي ككل. فهو يتميز بتنوع مقتنياته سواء من حيث أنواع الفنون المختلفة كالمعادن والأخشاب والنسيج وغيرها، أو من حيث بلد المنشأ كإيران وتركيا والأندلس وغيرهما .



وكان عدد التحف سنة ١٨٨٢ «١١١» مائة وإحدي عشرة تحفة وظل يتزايد حتي وصل قرابة ثلاثة آلاف تحفة عند افتتاح الدار سنة ١٩٠٣ م ، وتوالت بعد ذلك الإهداءات من الأمراء والملوك والهواة، فقام الأمير يوسف كمال سنة1913 م بإهداء مجموعة القيمة تلاه بعد ذلك الأمير محمد علي سنة

١٩٢٤ م، ثم الأمير كمال الدين حسين ١٩٣٣م. ثم الملك فؤاد الذي أهدي للدار مجموعة ثمينة من المنسوجات والموازين، ومجموعة الملك فاروق الأول من الخزف ١٩٤١م.

وتضاعفت مجموعات المتحف عندما تم شراء مجموعة رالف هراري سنة ١٩٤٥ م وكذلك مجموعة الدكتور علي باشا إبراهيم من الخزف والسجاد وذلك في سنة ١٩٤٩ م حيث بلغ عدد التحف سنة ١٩٥٢ م (١٦٥٢٤) ستة عشر ألفاً وخمسمائة وأربع وعشرين تحفة.

وكان لابد من توسيع مصادر تزويد الدار بالتحف عن طريق الشراء والحفائر خلال تلك الفترة، حيث أمدت الحفائر التي قام بها المشرفون علي دار الآثار العربية في الفسطاط، وجبل درونكة جنوب غرب أسيوط.

وتم تغيير مسمي «دار الآثار العربية» إلي «متحف الفن الإسلامي» ذلك لأن الفن الإسلامي يشمل جميع أقاليم العالم الإسلامي العربية وغير العربية تحت رعاية الخلفاء والحكام المسلمين علي امتداد الإمبراطورية الإسلامية. اشتملت مجموعات المتحف علي العديد من روائع التحف الفريدة التي تبين مدي ما وصله الفنان المسلم من ذوق رفيع ودقة فائقة في الصناعة.

وتم توزيع التحف المعروضة في ٢٥خمس وعشرين قاعة مقسمة حسب العصور والمواد.

حيث خصص الجانب الأيمن للداخل من الباب الرئيسي للمتحف للفن الإسلامي في مصر بداية من العصر الأموي وحتي نهاية العصر العثماني، بينما يضم الجانب الأيسر قاعات عرض خصصت للفنون الإسلامية خارج مصر في تركيا وإيران) بلاد فارس) وكذلك قاعات نوعية منها قاعة للعلوم

وقاعة للهندسة وأخري للمياه والحدائق، والكتابات والخطوط، وتركيبات وشواهد القبور والتوابيت المختلفة في العصور والبلدان الإسلامية.

تطوير المتحف:

فى ١٤ أغسطس ٢٠١٠ افتتح الرئيس السابق مبارك متحف الفن الاسلامى بعد انتهاء عملية التطوير والترميم الشاملة للمتحف والتى استغرقت حوالى ٨ سنوات منذ عام ٢٠٠٢ ، وتم الإستعانه بمؤسسة"

أغاخان " لتخطيط المتحف ، كما تمت عملية الترميم بمساعدة خبراء من فرنسا متخصصون بترميم قطع الفسيفساء والنافورات الرخامية، وهي أكبر عملية تطوير يشهدها المتحف خلال مئة عام.

وجاء الاحتفال بانتهاء التطوير متزامنا مع الاحتفال بمئوية انشاء المتحف .. وتضمنت عملية تطوير المتحف تهيئة قاعاته وفقا للتسلسل التاريخي، وتزويده بأحدث وسائل الإضاءة والتأمين والإنذار إضافة إلي تغيير سيناريو العرض المتحفي وتزويده بفتارين عرض حديثة على أعلى مستوى من سيناريوهات العرض المتحفية لتتناسب والكنوز الأثرية والفنية التي يحويها ، وإعداد حديقة المتحف بالشكل الذي يتناسب مع تاريخه، فضلا عن تهيئة المنطقة المحيطة بحرم المتحف بما يترافق مع تنشيط حملة علمية للتوعية بالآثار الإسلامية، كما سيتم تزويد المتحف بوسائل تأمين حديثة لحمايته من السرقة، وتأثير العوامل المناخية.

وشملت أعمال التطوير أيضا إنشاء مدرسة متحفية للأطفال، وأخرى للكبار، وإنشاء مبنى إداري بجوار المتحف على قطعة أرض بمساحة ٢٧٠ مترا.

واستهدفت عملية التطوير الحفاظ علي المبني كقيمة تاريخية، إضافة إلي ما يضمه من كنوز أثرية، ومخطوطات علمية، وقطع أثرية، ولوحات تحكي التاريخ الإسلامي عبر حقبه التاريخية المتفاوتة.

مقتنيات المتحف:

يضم المتحف مقتنيات تتجاوز مائة ألف تحفة تغطي ما يقرب من ١٢ قرنا هجريا، ويزخر بالتحف الإسلامية المختلفة المنشأ، ابتداء من الهند والصين وإيران وسمرقند، مرورا بالجزيرة العربية والشام ومصر وشمال أفريقيا وانتهاء بالأندلس وغيرها.

كما يضم المتحف مكتبة بالدور العلوي تحوي مجموعة من الكتب والمخطوطات النادرة باللغات الشرقية القديمة مثل الفارسية والتركية، ومجموعة أخرى باللغات الأوروبية الحديثة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، إضافة لمجموعة كتب في الآثار الإسلامية والتاريخية، ويبلغ عدد مقتنيات المكتبة أكثر من ١٣٠٠٠ كتاب.(٣٤)

وقد زود المتحف بعد ذلك بعدد كبير من محتوياته عن طريق الهبات التي تبرع بها أبناء الأسرة العلوية مثل: الملك فؤاد الذي قدم مجموعة ثمينة من المنسوجات، والأختام، والأمير محمد علي، والأمير يوسف كمال، والأمير كمال الدين حسين، ويعقوب آرتين باشا، وعلى إبراهيم باشا الذين زودوا المتحف بمجموعات كاملة من السجاد الإيراني والتركي والخزف والزجاج العثماني.

نقسم أسلوب العرض الحديث للمقتنيات داخل المتحف إلى قسمين :
الأول: يمثل الفن الإسلامي في مصر ويأخذ الجناح الشمالي.

والثاني: سيخصص للتحف التي تمثل تاريخ الفن الإسلامي في الأناضول وأسبانيا والأندلس.

وتبعا لأعمال التطوير فقد أنجزت قاعات لبيع الهدايا، وقاعة لكبار الزوار مصممة وفق طراز إسلامي. وتم استخدام وسائل تكنولوجية حديثة في الحفاظ على مقتنياته.

تعد بعض مجموعات المتحف من أغنى المجموعات في العالم، مثل مجموعات الخزف الإيراني والتركي ومجموعة التحف المعدنية ومجموعة السجاجيد، التي تضاعفت بعد اقتناء جانب كبير من مجموعة المرحوم الدكتور علي إبراهيم في سنة ١٩٤٩ ، وقد حدث نمو هائل في مجموعات المتحف حيث إن عدد التحف المسجلة عند افتتاحه في ديسمبر ١٩٠٣ بلغ حوالي 7000 تحفة، زاد إلى نحو ٦٠٠٠٠ سنة ١٩٥٤، لكنها الآن تزيد عن ١٠٠٠٠٠ قطعة.

ومن أحدث مقتنيات المتحف كنوز لسيدات حملت بعض البيوت الأثرية بالقاهرة أسماءهن، مثل السيدة زينت خاتون. ومن هذا المنزل تم اقتناء العملات الذهبية والفضية، وكنز آخر يسمى كنز درب الأزازي، إضافة إلى ما يستخدم من إهداءات، تقوم بإهدائها شخصيات عربية وإسلامية للمتحف، وتم عرضها جميعا ضمن مقتنيات المتحف في ثوبه الجديد.

أقسام المتحف الداخلية

ينقسم المتحف الإسلامي تبعا للعصور والعناصر الفنية والطرز، من الأموي والعباسي والأيوبي والمملوكي والعثماني، ويقسم إلى ١٠ أقسام تبعا للعناصر الفنية وهي :المعادن والعملات والأخشاب والنسيج والسجاد والزجاج والزخرف والحلي والسلاح والأحجار والرخام.

قسم المخطوطات

يصل عدد المخطوطات في المتحف إلى ١١٧٠ مخطوطة نادرة، تنتمي لإيران ومصر والمغرب والهند وإسبانيا وغيرها، وهي تنقسم إلى مجموعات، منها مجموعة مصاحف متنوعة كبيرة بعضها من مصر وبعضها من دول أخرى، مثل إيران والمغرب وإسبانيا. ويحتوى القسم على أقدم مصحف

يرجع إلى العصر الأموي في القرن الأول وبداية الثاني الهجري، وهو مكتوب على عظم الغزال وبدون تشكيل أو تنقيط لأن هذه الطريقة كانت سائدة في تلك الفترة، وهي مختلفة عن تلك التي نعرفها اليوم ، بالاضافة الى مجموعة من المصاحف الفريدة التي أبدع فيها الفنان المسلم، مزينه بزخارف جميلة بأساليب فنية متنوعة، منها الضغط والتذهيب والتلوين والتخريم والتفريغ، فصارت أول صفحتين من المصحف لوحة جمالية يبدعها أربعة فنانين، هم الخطاط والمذهب والمصور والمجلد(٣٥)

من المخطوطات النادرة التي يضمها المتحف كتاب "فوائد الأعشاب" للغافقي، ومصحف نادر من العصر المملوكي، وآخر من العصر الأموي مكتوب علي رق الغزال ، اضافة الى نحو 70 نوعاً من

الخطوط منها خطوط لياقوت المستعصمي، اشهر الخطاطين، والشيخ عبد العزيز الرفاعي آخر الخطاطين العظماء في مصر.

****

و بمناسبة الاحتفالية الكبري التي اقيمت بمقر الأمير محمد علي بالمنيل لمرور مائة عام علي افتتاح متحف الفن الإسلامي صدر مؤخرا مجلد وثائقي تذكاري تحت عنوان من ذاكرة متحف الفن

الإسلامي من عام ١٨٨١ لعام ٢٠١٠ م وجاء المجلد بما يحتوي عليه من صور نادرة ومادة مكتوبة رائعة ليجعله قطعة نادرة من ضمن القطع التي بالمتحف الإسلامي، بل كثير من متاحف مصر .صدر

المجلد في ٣٠٠ صفحة وطباعة فاخرة به مجموعة من الصور النادرة لشخصيات مصرية منذ مائة عام ،كما ضم صورا لشخصيات مصرية عامة وصورا لكبار الشخصيات من ملوك ورؤساء ورجال دولة في مائة عام قاموا بزيارة للمتحف وأيضا شمل صورا لكل مكان في مصر منذ عام١٨٨١م عام افتتاح المتحف من صور للعربات وللبشر والمباني والشوارع والعملات والأعلام والنياشين، مما جعل المجلد وثيقة مهمة لتاريخ مصر ويجب اقتناؤه والاحتفاظ به لكل الأجيال، والجدير بالذكر أن المجلد عندما تقرأه تعرف الحالة الاجتماعية وأخلاق المصريين في هذا الزمن الجميل فعندما جاءت فكرة إنشاء المتحف لجمع كنوز ومقتنيات الحضارة الإسلامية عبر عصورها المختلفة توالت الهدايا والتبرعات من المصريين والعرب من كل مكان ليست بالأموال فقط، بل بالقطع الأثرية التي لديهم .. ولم يبخل أحد مهما كانت قيمة القطع وثمنها فنذكر منهم في عام ١٩٠٣ م أهدت والده الخديوي عباس حلمي الثاني مجموعتها من التحف الأثرية وهي أيضا صاحبة أهم سبيل في مصر وهو سبيل أم عباس .. وفي عام ١٩١٣م أهدي الأمير يوسف كمال مجموعة من التحف النادرة .. وعام ١٩٢٠م أهدت كريمة يعقوب أرثين باشا وكيل وزارة المعارف والذي توفي عام ١٩١٦م مجموعة نادرة من القطع الإسلامية وتم تخصيص قاعة كاملة -وقتذاك- لهذا الإهداء الذي شمل كثيرا من القطع .. في عام

١٩٢٤ م قام الأمير محمد علي مؤسس القصر الذي ستقام به الاحتفالية بإهداء مجموعة نادرة من الأسلحة والسيوف، أما الأمير كمال الدين حسين فقد أهدي المتحف مجموعة نادرة من المنسوجات والأخشاب والزجاج عام ١٩٣٣م .. كما أهدي الأمير عمر طوسون مجموعة من الأعمال الفنية المتنوعة عام ١٩٣٥م .. وكما أهدي الملك فؤاد الأول عام ٩٣٦ م المتحف مجموعة نادرة من المنسوجات والموازين .. أما ابنة فاروق الأول فقد أهدت المتحف مجموعة نادرة من الخزف عام ١٩٤١ .. وفي أوائل الأربعينيات أهدي علي باشا إبراهيم المتحف مجموعة من السجاد الإيراني النادر والخزف .. ووضعت في قاعة خاصة .

وفي عام ١٩٧٠م أهدي الدكتور هنري أمين عوض الطبيب المصري مجموعة نادرة من أدوات الطب والجراحة وأوراق البردي العربية وبعض القطع من العملات.. .هكذا كانت روح الانتماء

والوطنية عالية وتقدير قيمة الأثر داخل أرض الوطن. وأما في المنطقة العربية فنجد أن بعض الدول العربية ساهمت في المتحف مثل العراق حيث اقتني المتحف مجموعة كبيرة من التحف الأثرية العراقية الأصل، أما اليمن فقد اقتني المتحف الإسلامي تحفة نادرة من النحاس صنعت في صنعاء العاصمة، كما عثر علي قطع نسيج يمنية في خبيئة أطلال الفسطاط التي اكتشفها علي بهجت عام ١٩١٢ م .. ثم توالت الاكتشافات الأثرية للعصر الإسلامي .. ومن الدول العربية التي لها إسهامات وآثار في المتحف أيضا هي سوريا التي تميزت بصناعة السيوف من الفولاذ .. كانت لها سوق رائجة في سوق السلاح بالقاهرة وأيضا يقتني المتحف شمعدانا سوريًا من النحاس المكفت بالفضة ويرجع إلي العصر الأيوبي، كما يقتني المتحف شكمجيات خشبية مطعمة بالعاج والصدف دقيقة الصنع وغيرها من القطع المهمة .أما من فلسطين فيقتني المتحف قطعاً من العملة منها وكذلك من لبنان، أما

من تونس فيقتني المتحف عددا كبيرا من البلاطات الخزفية التي كانت تستخدم في كسوة جدران المباني وأيضا قطع من العملات .. أما المغرب فيقتني المتحف مجموعة جيدة ونادرة من العملات النقدية ودنانير من مدينة فاس وطنجة .حقا المجلد يحتوي علي الكثير من الحكايات والأسرار والصور

النادرة في مصر خلال مائة عام.

الآثار القبطية :

جاء الاهتمام بالآثار القبطية متأخرًا، فلم تكن بتقسيمات التاريخ المصرى المعمول بها فترة قبطية بسبب أن أمور مصر لم تتولها أبدًا حكومة قبطية أو أمير قبطى سكت النقود باسمه أو كان مؤسسًا لأسرة حاكمة، وطبقًا لهذه التقسيمات فقط سقط المصريون من التاريخ على طول الفترة اليونانية الرومانية (٣٣١ قبل الميلاد ـ ٦٤١ ميلادية) والتى انتقلوا منها إلى الفترة الإسلامية مباشرة، ومما أسهم فى تأخر الاهتمام بالآثار القبطية وقوع معظمها بداخل آثار مصر القديمة ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأقباط أنفسهم، مثلهم مثل باقى المصريين، لم يكونوا على اهتمام بآثار أجدادهم، ويعتبر المتحف القبطى بالقاهرة من أهم المتاحف الأثرية فى مصر والعالم أجمع وذلك لما تمثله محتويات هذا المتحف من قيمة تاريخية وأثرية كبيرة تعبر عن جزء رئيسى فى ميراث مصر الحضارى وتاريخها العريق.

فمنذ بداية الاهتمام بدراسة الفروع المختلفة لعلم الآثار المصرية فقد أطلق العلماء مصطلح «الفن القبطى» على الخصائص الفنية التى ظهرت على الفن المصرى منذ القرن الرابع الميلادى بصفة عامة، وكذلك على فن المسيحيين من المصريين بصفة خاصة بعد الاعتراف الضمنى بالديانة المسيحية فى عهد الإمبراطور قسطنطين الأكبر ٣٢٣-٣٣٧ م.والذى كان أول من اعتنق الديانة المسيحية من الأباطرة الرومان ، وقد تميز هذا الفن بأنه كان فنا وطنيا نشأ من صميم الشعب المصرى فى مواجهة الفنون الإغريقية والرومانية التى كانت منتشرة فى مصر آنذاك، وعلى الرغم من أن الفن القبطى قد تأثر فى مراحله الأولى بتلك الفنون، إلا انه سرعان ما شكل لنفسه طرازا محليا خاصا به يعتمد على إبداع الفنانين المصريين وثقافاتهم المحلية النابعة من حضارتهم العريقة، ثم تميزت الفنون المسيحية فيه بالبساطة والرمزية وكذلك بتقريب مفردات العقيدة المسيحية وتراثها الدينى لمن يتعرف عليها للمرة الأولى.

ومع إنشاء مصلحة الانتيكخانة المصرية عام ١٨٥٧ على يد الفرنسى أوجست ماريت فقد ظهرت البدايات الأولى للاهتمام بحفظ الفنون القبطية عندما أقيم أول معرض للفن القبطى فى مصر فى قاعة خصصها ماريت له بمتحف الآثار المصرية الذى شيده فى بولاق أبى العلا عام ١٨٥٨.

وعندما تأسست لجنة حفظ الآثار العربية عام ١٨٨١ للحفاظ على الآثار الإسلامية بمصر فقد نادى المهندس ماكس هرتس النمساوى الأصل والذى كان يرأس قطاع المشروعات باللجنة بضرورة إنشاء متحف خاص للآثار القبطية بل وطالب البطريرك «كيرلس الخامس» فى عام ١٨٩٧م بضرورة تخصيص مكان للمحافظة على الآثار القبطية المعرضة للخطر، وتعالت أصوات المثقفين المسيحيين فى تلك المرحلة مثل يعقوب نخلة روفيلة مؤلف كتاب «تاريخ الأمة القبطية» بضرورة إنشاء متحف للآثار القبطية فى مصر، إلا أن الفضل الحقيقى فى تأسيس المتحف القبطى يرجع إلى مرقص باشا سميكة الذى اشتهر بحبه الشديد للفنون والآثار القبطية والحفاظ عليها.

ولقد ولد مرقص سميكة فى عام ١٨٦٤م لأسرة عريقة بمنطقة الأزبكية بالقاهرة وتلقى تعليمه فى مدرسة البطريركية التى أسسها البابا كيرلس الرابع حيث درس اللغات القبطية، واليونانية، والإنجليزية والفرنسية، ثم شغل منصبا مرموقا فى مصلحة السكك الحديدية المصرية حتى اعتزاله الخدمة عام ١٩٠٧م، وحمل على مدى حياته العديد من الرتب تقديرا لجهوده مثل البكوية والنيشان العثمانى ورتبة المتمايز ورتبة الباشاوية وكان عضوا فى العديد من المجالس والجمعيات مثل مجلس شورى القوانين والجمعية التشريعية ومجلس المعارف الأعلى ومجلس أعلى دار الآثار العربية ومجلس الأثريين فى لندن وعضو مجلس إدارة جمعية الآثار القبطية بالقاهرة.

ويروى مرقص سميكة باشا فى مذكراته: إنه عندما توجه فى أحد الأيام من شتاء عام ١٩٠٨ لزيارة البطريرك كيرلس الخامس فقد وجده يشرف على عملية وزن بعض العلب الفضية القديمة لحفظ الأناجيل وكذلك بعض الأوانى الكنسية التى تحمل كتابات قبطية وعربية تعود إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر وذلك تمهيدا لصهرها وإعادة استخدامها مرة أخرى، فأبدى سميكة باشا رغبته فى شراء هذه الروائع على أن هذه الأشياء تحفظ فى مخزن كبداية لإنشاء متحف للآثار القبطية فوافق البطريرك على طلبه.

واختار سميكة باشا قطعة من أراضى الأوقاف التابعة للكنيسة القبطية ذات موقع فريد لتكون نواة للمتحف القبطى حيث تقع ارض المتحف داخل حصن «بابليون» الرومانى وإلى جوار الكنيسة المعلقة أقدم كنائس القاهرة، كما تقع بالقرب من كنيسة أبى سرجة التى تحتوى على المغارة التى استراحت فيها العائلة المقدسة أثناء فترة هروبها إلى مصر، وكذلك معبد بن عزرا اليهودى أقدم معبد يهودى فى مصر ومسجد عمرو بن العاص أول مسجد فى أفريقيا.

وبدعم من البطريرك فقد حصل سميكة على بعض القطع والأعمال الأثرية من المجموعات الخاصة لبعض الأغنياء من محبى الفنون ومن الأديرة والكنائس المختلفة لاستكمال مجموعة المتحف الأثرية تمهيدا لافتتاحه.

وافتتح المتحف القبطى رسميا فى الرابع عشر من مارس فى عام ١٩١٠ تحت حكم الخديو عباس حلمى الثانى مكان الجناح القديم بالمتحف حاليا وكان مرقص سميكة باشا أول مدير له .وقد اهتم سميكة باشا بعمارة هذا المتحف اهتماما شديدا وقام بتزيين أسقف وممرات جناح العرض فيه بأعمال فنية وأثرية جلبها من بعض القصور والمبانى القديمة التى
كان يملكها الأقباط ، كما أسس سميكة باشا مكتبة المتحف.

وفى عام ١٩٣١ قامت الحكومة المصرية بضم المتحف القبطى إلى أملاكها نظرا لأهميته التاريخية والحضارية ولذلك عمل سميكة باشا على نقل الجزء الأكبر من الآثار القبطية التى كانت فى حوزة المتحف المصرى إلى المتحف القبطى كما حصل على دعم مالى لإضافة جناح جديد إلى المتحف ويكون اكبر حجما، واستمر سميكة باشا فى العمل على انجاز هذا المشروع حتى وفاته فى عام ١٩٤٤، وعندما افتتح الجناح الجديد فى عام ١٩٤٧ فقد وضعت إدارة المتحف آنذاك تمثالا نصفيا لسميكة باشا وكذلك لوحة تذكارية مسجل عليها اسمه بالقبطية والعربية والإنجليزية فى واجهة المتحف تخليدا لذكراه كمؤسس للمتحف القبطى.

وفى عام ١٩٦٦ قامت مصلحة الآثار المصرية بإغلاق المتحف القبطى بسبب تداعى الجناح القديم حيث أعيد ترميم المتحف وافتتاحه فى عام ١٩٨٤، ثم ما لبث أن أغلق المتحف مرة أخرى بعد

زلزال أكتوبر ١٩٩٢ حيث خضع لعملية ترميم وتطوير شاملة تم فيها وصل جناحى المتحف معا لأول مرة كما أعيد تطوير نظام العرض وتصنيف القطع المعروضة طبقا لأحدث النظم العالمية وقام الرئيس السابق محمد حسنى مبارك بافتتاح المتحف رسميا فى الخامس والعشرين من يونيو فى عام ٢٠٠٦م.

وتبلغ مساحة المتحف نحو ٨٠٠٠ متر مربع ، وتحتوى مجموعة المتحف على ١٦ ألف قطعة أثرية تعد من أهم مجموعات الفن القبطى وأكثرها ندرة فى العالم أجمع والتى تتنوع ما بين الأحجار والصور الجدارية والأيقونات والمخطوطات القبطية واليونانية والعربية، وكذلك المنسوجات والعاج والمعادن والخزف والفخار والتى تروى مسيرة هذا المتحف العريق خلال قرن من الزمان.

ويمكن القول إن ظهور المتحف القبطى كان تعبيرًا عن خروج الأقباط من نظام الملة وانتقالهم إلى نظام المواطنة الكاملة فى إطار الدولة القومية فقد اكتشفوا عن طريقه أن لهم تاريخًا أكثر مجدًا وإثارة للفخر من ذلك الذى عاشوا فى ظله على طول تاريخهم، والذى لم يعرف غير المساكين والمضطهدين من الشهداء أو رهبان الصحراء، فقد رأوا فيه مجدًا يصلهم بحضارة الفراعنة العظيمة، وبهذه الرؤية الجديدة دخل الأقباط الحركة الوطنية مرتفعى القامة وأكثر ثقة بالنفس ودون خوف من الاندماج الكامل فى الوطن الكبير والجديد الذى كان يتشكل فى ذلك الوقت.

المبنى القديم المكوَّن من تسع قاعات عرض، وقد تم إضافة مبنى جديد إليه مكوَّن من ١٧ قاعة عرض أخرى، وعمل كوبرى بالداخل للربط ما بين المباني فى انسجام يسهّل معه تنقل الزائرين. كما لم يتم الاكتفاء بهذا، بل تم ترميم المبنى القديم، وتأمين المتحف، وتطوير نظم الإضاءة. ولم يبخل المجلس الأعلى للآثار على المتحف بأعمال التطوير والترميم، إلى الدرجة التى جعلته يتكلّف من أجل ذلك ٣٠مليون جنيه، لاتمام كافة اجراءات التطوير والتحديث اللازمة لحماية ٢٠الف قطعة أثرية يضمها المتحف.وعند الدخول إلى أبواب بهو المتحف وقاعاته الداخلية،نلاحظ الأسقف التى تفيض بالجمال والرونق والرقي والعراقة.. ولما لا، وهى مأخوذة من قصور الأقباط؟ كما يلفت النظر العديد من النافورات والأعمدة الرخامية، خاصة النافورة الموضوعة فى مدخل المتحف، والتي تُشعرك وأنت تخطو أولى خطواتك إلى الداخل، بأنك مقبل إلى أحد قصور العصور الغابرة، خاصة وأنت ترى أربعة أسود رابضين على باب المتحف يقومون باستقبال الزوار بحفاوة بالغة. ومع كثرة التجوال داخل المتحف، لاحظت أن قاعات العرض مقسَّمة طبقًا للأماكن التى تم العثور على القطع الأثرية بها، فهناك قاعات عرض لآثار منطقة "سقارة"، وخاصةً الآثار التي عُثر عليها فى دير الأنبا "أرميا"، كما توجد قاعة عرض لآثار منطقة "إهناسيا" الواقعة بالقرب من "بني سويف"، وهي عبارة عن قبور حجرية منحوت عليها العديد من الأساطير. وهناك قاعة عرض أخرى لآثار دير الأنبا "أبوللو" الموجود بمنطقة "باويط" الواقعة بالقرب من مدينة "أسيوط". وفي الدور الثانى يوجد العديد من القاعات الأخرى المخصَّصة للعرض النوعي للآثار، لتجد مجموعة من القاعات منها: قاعة لملابس الكهنوت، وأخرى للكتاب المقدس، وأخرى للبرديات، وأخرى للأخشاب، وأخرى للأدوات الكتابية.

لوحات جدارية وأيقونات

ومن أجمل الآثار في قاعات العرض المختلفة، اللوحات الجدارية التي تمثّل إحداها السيد المسيح داخل أكليل من الزهور، وأخرى تمثّل "إبراهيم" أبو الآباء يقدّم ابنه ذبيحة، وأخرى توضّح منظر

نصفي للسيد المسيح رافعًا يده اليمنى لمنح البركة واليسرى ممسكة بالانجيل، ولوحة جدارية أخرى مرسومة بالألوان للقديس "أبا نفر" السائح بلحيته الطويلة، والتى تصل إلى أخمص قدميه، وبجواره يقف القديس "مكاريوس" والقديس "أبوللو"، وخلفهم صليبان مثبتان على حامل. أما عن الأيقونات، فهناك اثنين في غاية الجمال، إحداها تمثّل هروب العائلة المقدسة إلى "مصر" حيث تصوِّر السيد المسيح طفلًا تحمله العذراء في حضنها، والثانية توضِّح زيارة الأنبا "أنطونيوس" أبو الرهبان إلى الأنبا "بولا" وخلفهما الغراب ممسكًا برغيف من الخبز. هذا إلى جانب وجود عدة أناجيل تضم البشائر الأربعة، مكتوبة بالألوان على الكتان. وأيضا كتاب المزامير ذات الأغلفة الخشبية. هذا بالإضافة إلى العديد من المشغولات المعدنية النادرة مثل السُرج والأقراط والعقود والصلبان والخواتم والمكاحل، وغيرها من المقتنيات المعدنية المصنوع معظمها من الفضة أو النحاس.

هوامش البحث

(١) لمزيد من التفصيل عن محمد واسرتة راجع-- الخليل بن أحمد الرجبى الشافعى الشاذلى، تاريخ فى شأن الوزير محمد على، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٨٥ -- مصر في عهد محمد علي ،إصلاح أم تحديث؟ - تحرير رؤوف عباس. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠. --إلياس الأيوبى،محمدعلي، سيرتة واعمالة واثارة ،دار الهلال ١٩٢٣-- سهير حلمي ،اسرة محمد علي ،الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٣ -- عبد الرحمن الجبرتي ،عجائب الاثار في التراجم والاخبار ٨ اجزاء تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن ،الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٢ -- على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر ٢٠جزء مطبعة دار الكتب ١٩٦٩-- كريم ثابت عصر محمد علي ،الفاهرة ١٩٣٦--كلوت بك ،لمحة عامة عن مصر ،٣اجزاء –ترجمة محمد مسعود ١٩٣٨-- محمد شفيق غربال محمد علي الكبير، كتاب الهلال ١٩٨٦--امين سامي تقويم النيل ٦اجزاء ،المجلس الاعلي للثقافة ٢٠٠٥--جمال بدوي ،محمد علي واولادة ،الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٢ -- حمادة حسني ،الباشا صاحب مصر محمد علي الكبير ،مكتبة بيروت ٢٠٠٩- جيلبير سينوية،الفرعون الاخير محمد علي ،ترجمة حافظ الجمالي ،دمشق ٢٠٠٥

(٢) محسن محمد ، سرقة ملك مصر ،مركز الاهرام للترجمة والنشر ،ط ١٩٩١، ص ٣٠

(٣) لمزيد من التفاصيل عن حياة بلزوني وعلاقتة بمحمد علي والاثار ،راجع جيوفياني باتيستا بلزوني في مصر ،المجلس الاعلي للثقافة ،٢٠٠٥ – بيتر فرانس ،أوربا وألاثار المصرية ،ترجمة ابراهيم محمد ابراهيم ،الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٩ ،ص ٥٢ وما بعدها.

(٤) بيتر فرانس ،أوربا وألاثار المصرية، ص ٤٥

(٥) دوجلاس بريور ، مصر والمصريين ، ترجمة عاطف معتمد ، الهيئة العامة للكتاب،٢٠١٠،ص٤٣

(٦)بيتر فرانس ،أوربا وألاثار المصرية، ص ١١٩

(٧) روبير سولية مصر :ولع فرنسي ،ترجمة لطيف فرج،الهيئة العامة للكتاب ،٢٠٠٢،ص٩١

(٨) بيتر فرانس ،أوربا وألاثار المصرية، ص ٢٠،الاوامر والمكاتبات الصادرة من محمد علي باشا ج١مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٤٨٤

(٩) روبير سولية مصر :ولع فرنسي ،ترجمة لطيف فرج،الهيئة العامة للكتاب ،٢٠٠٢،ص١٠١

(١٠) جريدة الأهرام بتاريخ ٣١ /٢٠٠٦/١م السنة ١٣٠ العدد ٤٣٥٢٠

(١١) لم يقتصر امر الاهتمام بالاثار علي الحكام من اسرة محمد علي بل امتد هذا الاهتمام الي الامراء والاميرات فقد كان هناك حرصا من جانب الامراء وألاميرات تجاة تشجيع أعمال الحفر والتنقيب عن الاثار وقام بعض الامراء وألاميرات بزيلرة تلك الاماكن كما تبرع البعض منهم بألاموال الي تلك اللجان التي تقوم بالتنقيب عن الاثار ومن امثلة ذلك ما ذكرتة جريدة القاهرة في مقال(٨يناير ١٨٨٩) لها يوضح ذلك الامر "..في صباح أمس قصدت حرم الخديوي المصون وحاشيتها الموقرة جهة الاهرام وبعد ان شارفت دولتها أشغال كشف أبي الهول توجهت حضرتها إلى الكشك الخديوى لتناول الغداء ثم عادت إلى سراى عابدين

أيضا ما ذكرته جريدة مصر فى مقال لها(١٨ مارس ١٩٠٥ تحت عنوان " الأمراء والاهتمام بالآثار " حيث ذكرت أن دولة الأمير جميل باشا طوسون قد أعطى لمصلحة الآثار مبلغ ٤٠٠ جنيه لتنفقها على البحث والتنقيب عن الآثار المصرية القديمة المفيدة للعالم المصرى القديم -وهناك العديد من النماذج التى توضح لنا الأمر عن اهتمام الأمراء

بالآثار وبالكشف عنها ومن ذلك الأمر ما حدث فى عام ١٩٠٣ حينما تم افتتاح دار الآثار العربية فى التاسع والعشرين من ديسمبر حيث حضر حفل الاقتتاح كل من الأمير محمد على باشا والأمير فؤاد باشا ذلك الاحتفال فى ميدان باب الخلق

(١٢) عبد الرحمن الرافعي عصر اسماعيل ،الجزء الثاني ، مكتبة الاسرة ٢٠٠٢ ،ص٢١

(١٣)نفسة ،ص٢١

(١٤) جاء إلي مصر عالم الآثار ماريت فرانسواز أوجست فيرناند عام١٨٥٠ ليبدأ رحلة استمرت حتي وفاته في١٨٨١ كان لها أكبر الأثر في تاريخ علم الآثار المصرية.. ماريت الفتي الطويل النحيل الأشقر المرح المولود في١١ فبراير ١٨٢١

وحصل ماريت في أول يناير١٨٥٨ علي لقب مأمور الآثار، وقام بتأسيس مصلحة الآثار، وفي العام نفسه تم الكشف عن آثار من الذهب خاصة بأسرة أحمس طارد الهكسوس ومنها قلادة شهيرة من الذهب للملكة إيماح حوتب

أعلن من بعد إنشائه المتحف المصري في بولاق أنه أبدا لن يوافق علي خروج أي آثار مصرية إلي الخارج.. وأصبح عاشق مصر يراسل أقاربه بقوله Jethebesbeaucoupواضعا اسم مدينة طيبة بدلا من Jetaimeوكلما جاء ذكر كلمة قلب Coeurكتبها Cairo أي القاهرة ..ماريت الذي تقدمه دائرة المعارف البريطانية في ملخص جاف يقول: عالم أثري فرنسي ولد في بولونيا علي البحر عام١٨٢١ كشف وأنقذ العديد من المواقع الأثرية٣٠ موقعا في مصر والنوبة، وأسس قسما للآثار المصرية كان نواة للمتحف المصري بالقاهرة وتوفي عام١٨٨١..

وبعد نفي الخديوي إسماعيل ـ مانح الباشوية لماريت ـ أصيب الأخير بالمرض وفقد حماسه، ليظل معتكفا في متحف بولاق بصحبة أصدقائه الثلاثة.. الكلبة والقرد والغزالة فينيت التي اشتهرت في كتب الرحالة إذ كانت تستقبل الزوار عند مدخل المتحف مات ماريت ودفن حيث عاش في متحفه تاركا قوله المأثور الذي نطق به يوما حقا: مر علي المصريين زمن كانوا يهشمون فيه آثارهم، وهم اليوم لا يفعلون ذلك، وأتمني أن يأتي اليوم الذي يحبونها فيه.

لمزيد من التفاصيل عن حياة ماريت،راجع

Benet, W.R. : The Reader Encyclopedia , j. W. Arrowsmith, Bristol 1977

سناء البيسي ،أوجست ماريت.. باشا الاكتشافات الأثرية،جريدة الاهرام ،٧/اغسطس ٢٠١٠

(١٥) بيتر فرانس ،أوربا وألاثار المصرية، ص١٧٢

(١٦) إلياس الأيوبى، تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل، ١٨٦٣-١٨٧٩م، المجلد الأول،ص٤٨

(١٧) دار الوثائق القومية :- مذكرة بالفرنسية من اللجنة المالية الي مجلس النظار بفتح اعتماد قدره ألف جنيه مصري لصرفه في نقل جزء من الانتيكخانة الموجودة في مخازن بولاق الي سراي الجيزة ووضعها في الأماكن الجديدة المعدة لذلك.

كذلك مذكرة من اللجنة المالية الي مجلس النظار، بطلب فتح اعتماد بـ٨ آلاف جنيه الي جانب الألف جنيه السابقة لصرفها في نقل انتيكخانة بولاق الي سراي الجيزة، علي أن يخصص٣ آلاف جنيه كمصاريف نقل وترتيب الانتيكخانة، مع الوضع في الاعتبار اتمام النقل بأكمله قبل انتهاء السنة المالية الحالية.

هناك أيضا مذكرة من نظارة الأشغال الي مجلس النظار، بطلب تخفيض دخول انتيكخانة الجيزة من خمسة قروش الي قرشين،

ومذكرة من مسيو دي مورجان مدير عموم الآثار التاريخية الي نظارة الأشغال العمومية باقتراح إقامة بناء جديد للانتيكخانة علي ضفة النيل اليمني، لوجود مسافة كبيرة ناشئة من بعد انتيكخانة الجيزة ورطوبتها وضيق مساحتها، وصورة من محضر اجتماع مجلس النظار بتاريخ٦ مايو ١٨٩٤ برئاسة الحضرة الخديوية الذي وافق فيه علي انشاء متحف جديد للآثار المصرية فيما بين النيل وأشلاء قصر النيل.

(١٨) بيتر فرانس ،أوربا وألاثار المصرية، ص١٧٢

(19)1-Geores Douin Histoirs du Regne du KHEDIVE Hsmil Rome 1933-1938

(2)Edmond About Le Fellah Paris.1869

(21)- charles Edmond l Egypt a l Exposition universlle de 1867 .paris 1867

(22)- HENRI wallon Notice sur la vie et les travaux de M arietta pacha paris 1883

(٢٣) روبير سولية مصر :ولع فرنسي ،ترجمة لطيف فرج،الهيئة العامة للكتاب ،١٦٩، ٢٠٠٢

اشتركت مصر خلال القرن ١٩ في العديد من المؤتمرات والمعارض منها

المؤتمر الصحي الدولي بالاستانة ١٨٦٦

المؤتمر الصحي الدولي بفيينا ١٨٧٤

مؤتمر البريد الدولي برن ١٨٧٤

المؤتمر التلغرافي الدولي سان بطرس بورج ١٨٧٥

المؤتمر الدولي للعلوم الجرافية بباريس ١٨٧٥

المؤتمر الصحي لِلاحصاء بودابست ١٨٧٦

مؤتمر الصحة والنجاة بروكسل ١٨٧٦

المؤتمر الدوليللعلوم الطبية بجينف ١٨٧٧

مؤتمر البريد بباريس ١٨٧٨

معرض باريس ١٨٦٧

المعرض الدولي للزراعة يليون ١٨٧٢

المعرض الدولي للزراعة بفيينا ١٨٧٣

معرض فلاحة البساتين بكولونيا ١٨٧٥

معرض فلاديفيا ١٨٧٦

معرض الصحة والنجاة بروكسل ١٨٧٦

المعرض الدولي للنبات امستردام ١٨٧٦

المعرض العالمي باريس ١٨٧٨

(٢٤) بيتر فرانس ،أوربا وألاثار المصرية، ص١٦٥

(٢٥) يذكر أن العالم الألمانى هنرى بروجش يعد من كبار الأثريين في العالم، ومن رواد العارفين باللغة المصرية القديمة، وله بحوث جيدة في تاريخ مصر وجغرافيتها القديمة، بالإضافة إلى بحوثه المتقدمة فى الإسلام ، ومن خلال بحوثه تلك توصل إلى أن بعض صفات آمون وبتاح تتطابق مع أسماء الله الحسنى في الإسلام، وأن هناك تطابقا كبيرا بين ديانة التوحيد التى نادى بها إخناتون وبين الديانات السماوية الثلاث أى اليهودية والمسيحية والإسلام

(٢٦) حسين حسنيين ،احمد باشا كمال : الاب الروحي للاثريين المصريين،موقع صوت العروبة ٢٠١٠/٥/١٦

(٢٧) اصدر الخديو توفيق فى ١٦ مايو ١٨٨٣ الامر العالى باعتبار "دار الانتيكات المصريه ومحتوياتها من املاك الحكومة ذات المنفع العموميه دار الوثائق القومية وثيقة رقم ٢٤١١

(٢٨) الملاحق ،ملحق رقم (١)

(٢٩) محسن محمد ، سرقة ملك مصر ،مركز الاهرام للترجمة والنشر ،ط ١٩٩١

(٣٠) على مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر ٢٠جزء مطبعة دار الكتب ١٩٦٩-

(٣١) لمزيد من التفاصيل عن التغيرات التي حدثت بمدينة القاهرة راجع :محمد حسام ،القاهرة من ولاية محمد علي الي اسماعيل (١٨٠٥-١٨٧٩)دار الافاق العربية ط٢ ١٩٩٩-- عبد المنعم إبراهيم الجميعي الخديو إسماعيل وبناء القاهرة الحديثة((مشروع باريس الشرق))،--عرفة عبده عامر، القاهرة فى عصر إسماعيل، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م، --جورج جندي وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، القاهرة ، ١٩٣٧

(٣٢) عبد الرحمن الرافعي عصر اسماعيل ،الجزء الثاني ، مكتبة الاسرة ٢٠٠٢ ص٢٢

(٣٣) احمد شفيق ،مذكراتي في نصف قرن ،ج٣ ،، الهيئة العامة للكتاب،١٩٩٨ ،ص٣٠

(٣٤)لمزيد من التفاصيل راجع ،ايمن فؤاد سيد ،دار الكتب المصرية تاريخها وتطورها، الهيئة العامة للكتاب،٢٠٠٥،ص٢١ وما بعدها

(٣٥) ايمن فؤاد سيد ،دار الكتب المصرية تاريخها وتطورها،ص٤٢

الملاحق

ملحق رقم (١)

روءساء مصلحة الاثار (١٨٥٨-٢٠١١)

أوجست ماربيت ١٨٥٨-١٨٨١

جاستون ماسبيرو ١٨٨١-١٨٨٦

أوجين جريبو ١٨٨٦-١٨٩٢

جاك دي مورجان ١٨٩٢-١٨٩٧
فيكتور لوري ١٨٩٧-١٨٩٩
جاستون ماسبيرو١٨٩٩-١٩١٤
بيير لاكو١٩١٤-١٩٣٦
ايتين دريتون١٩٣٦-١٩٥٢
مصلحة الاثار
مصطفي عامر ١٩٥٢-١٩٥٦
عباس بيومي ١٩٥٦-١٩٥٧
محرم كمال ١٩٥٧-١٩٥٩
عبد الفتاح حلمي ١٩٥٩
محمد انور شكري ١٩٦٠-١٩٦٤
محمد مهدي ١٩٦٤-١٩٦٦
جمال مختار ١٩٦٧-١٩٧١
هيئة الاثار المصرية
جمال مختار ١٩٧١-١٩٧٧
محمد عبد القادر ١٩٧٧-١٩٧٨
شحاتة أدم ١٩٧٨-١٩٨١
فؤاد العرابي ١٩٨١-
احمد قدري ١٩٨٢-١٩٨٨
محمد عبد الحليم نورالدين ١٩٨٨
سيد توفيق ١٩٨٩-١٩٩٠
محمد ابراهيم بكر ١٩٩٠-١٩٩٣
المجلس الاعلي للاثار
محمد عبد الحليم نورالدين١٩٩٣-١٩٩٦
علي حسن ١٩٩٦-١٩٩٧
جاب اللة علي جاب اللة ١٩٩٧-٢٠٠٢
زاهي حواس ٢٠٠٢حتي الان... ثم اصبح وزيرا للاثار ٢٠١١
ملحق رقم (٢)
اوامر الخديوي اسماعيل بخصوص الاثار
أمر كريم الي مفتش قبلي
بما أن بقاء اعمال الحفر والتنقيب عن الاثار تحت نظارة ماريت بك موافق لارادتنا فاننا نخطركم بوجوب التحرير من لدنكم الي المدريات التي تحت ادارتكم ليتولوا ايفاد العمال الذين يطلبهم البك المذكور لهذة الاشغال بالأجور المرغبة ..وحيث ان رؤساء العمال مقيدون في المالية ولاعلاقة لهم بالمديريات فان الاجور ستدفع للعمال المشتغلين فقط ولذلك يقتضي اخذ ضمانات من مشايخهم خشية تعطيل الاشغال بسبب هروبهم وضياع الاموال المدفوعة هباء .
في ٢ذي القعدة سنة ١٢٧٩- ٢١ ابريل ١٨٦٣ (سجل ٥٢٦معية تركي)
أمر كريم الي مفتش قبلي
بما ان الاثار الموجودة بالقطر المصري تساعد علي تنوير تاريخ البلاد العام وتخليد ذكرها بحيث أن رغبتنا العمل علي ان تكون جميع هذة الاثار محفوظة في عهدنا فان من مقتضي ارادتنا أن تكتبوا بدوركم الي المديرين وتنبهوا عليهم تنهيهات مؤكده لمنع اى شخص منعا باتا من تحطيم هذه الاثار أوأخذ أحجار منها ،سواء لاستعمالها فى منشاتهم الخاصه أم فى المبانى الأميريه ، ولترتيب الخفراء اللازمين بالأجرة فى حاله طلب مصلحة الآثار ذلك.
في ٢ذي القعدة سنة ١٢٧٩- ٢١ ابريل ١٨٦٣ (سجل ٥٢٦معية تركي)
أمر كريم الي مفتش قبلي

اعتاد سكان القرنة والاقصر والكرنك البحث دواما عن الاثار والعاديات واخذ الاحجار من المباني الاثرية لبناء الجدران وغيرها وحيث أن الواجب يقضي بمنعهم من ذلك فاننا نأمركم ان تعلنوا علي حضرات المديرين مؤكدين ضرورة الاهتمام والعناية لعدم تكرار مثلّ هذة ألامور في المستقبل وان وجدوا أوامر صادرة من أسلافنا باسم هذا او ذاك مصرحة لهم بالتنقيب عن الاثار فعلي مدير الجهة منعهم اذا ما أرادوا التنقيب بموجب الاوامر التي بأيديهم وبعد الاطلاع علي الامر الشامل للتصريح يستنسخة حرفيا ويرسل صورتة الينا ثم ينتظر ما نأمر بة في هذا الشأن.نلفت نظركم الي ان يكون التنفيذبعناية بالغة ويقظة وانتباة وبكياسة تحول تحول دون حدوث شغب او مشاكل
في ٢ذي القعدة سنة ١٢٧٩- ٢١ ابريل ١٨٦٣ (سجل ٥٢٦معية تركي)
أمر كريم الي محافظة مصر حيث أننا أمرنا جران بك بأعمال التعميرات الضرورية اللا زمة لأنتيخانة بولاق التي تبلغ مصاريفها سبعة الاف وخمسماية فرنك فيقتضي صرف قيمة ذلك من المحافظة طرفكم بالمخابرة مع البك المومي الية وأصدرنا أمرنا هذا لكم لتعلموة وتجروا مقتضاة كما هو مطلوبنا (في ٢٩ رمضان سنة ١٢٩١-٩نوفمبر سنة ١٨٧٤(سجل ٢ اوامر عربية).

. أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج٣، ص٩٣٨. عبد الرحمن الرافعى، عصر محمد على، ج٣، ص١٥٥. أحمد عبد الرحيم مصطفى، علاقة مصر بتركيا فى عهد الخديوى إسماعيل، دار المعارف، ١٩٦٧م، ص١٩.
إلياس الأيوبى، تاريخ مصر فى عهد الخديوى إسماعيل، ١٨٦٣-١٨٧٩م، المجلد الأول، ص٤٣.

١- جورج جندي وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، القاهرة ، ١٩٣٧ .
٢- جورجي زيدان : تاريخ مصر الحديث ، القاهرة ، ١٨٨٩ .